الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران 2 محمد بن أحمد

كلية العلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

تخصص فلسفة عامة

نظرية السلطة السياسية عند المعتزلة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص فلسفة عامة

إعداد الطالب:
شادلي يونس محمد

إشراف الأستاذ:
د. بلخضر وحيد

تشكيلة اللجنة المقترحة للمناقشة

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتماء
دراس شهرزاد	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة وهران 2
بلخضر وحيد	أستاذ مساعد قسم ب	مشرفا ومقررا	جامعة وهران 2
محمودي خليفة	أستاذ مساعد قسم ب	مناقشا	جامعة وهران 2

السنة الجامعية: 2022/2021

الإهداء

أولا وقبل كل شيئ لا أحد يستحق أن يهدى هذه الكلمات، أكثر من سيدة الفاطمات، أمي حبيبتي.

19 سنة على درب وعر، إعترضت سبيلي فيه شتى المطبات، ومختلف العراقيل و المشكلات، فكانت العزيمة ترياقا لمثل هذه الحالات، عزيمتي لم تكن من أجل تحقيق النجاحات، بل فقط لتفادي الكبوات، وها أنا أقف بثبات، فيتبادر لذهني كم هائل من الذكريات، منها الجيد ولكن أغلبها أبعد ما يكون على المسرات، ها أنا أتذكر أول الخطوات، ويتجلى أمامي نقطة النهايات.

لطالما كنت ذلك الولد المتمرد، فطردت في السنة الأولى ثانوي، ووجهت للحياة المهنية، ولكن أبي كان بطلا خارقا، ففعل المستحيل ليعيدني لصفوف الدراسة، وككل الأبطال الخارقين نجح أبي، وأنا هنا لأهدي له نجاحي اليوم.

ليس أبي فحسب ولكن هناك أستاذة كانت بمثابة الأم، الأستاذة بودراع، حين فقدت الأمل من نفسي، وحينما لم يثق أحد بنجاحي ، وثقت بي هي، وساعدتني على لملمة نفسي، وأعادتني للسكة من جديد، النجاح اليوم نجاحها هي، شكرا أستاذتي.

نجاح اليوم هو نجاح الدكتور بلخضر وحيد، الذي رافقني طيلة فترة البحث، لم يبخل علي بوقته ولا بخبرته، فأمطرني بمعلوماته الغزيرة ونصائحه المفيدة، فكان العامل الأهم في إتمام هذا العمل.

نسبتي في نجاح اليوم إن تم ستكون مجهرية، فهذا العمل لم يكن ليتم لولا بوزحافي فريال التي أصرت على أنني يجب أن أختار هذا الموضوع، لم يكن يكتمل لولا وجود ستاوي أسماء وشادلي أسامة وأوكيد سمية، الذين ساعدوني في الإلمام بجنبات المذكرة، لم يكن ليخرج للوجود لولا قزوري سناء وبوزريبة إبتسام اللتان زودتاني بالكتب والمراجع، لم يكن ليحصل لولا زغامري خليدة التي دعمتني وأسهمت في طبع الموضوع، نجاح اليوم نجاحهم أيضا.

الشكر والتقدير

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس، لم يشكر الله عز وجل"

أحمد الله تعالى حمدا كثيرا طيبا مباركا ملئ السموات والأرض على ما أكرمني به من إتمام هذا العمل.

ثم أتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من:

الدكتور الفاضل بلخضر وحيد لتفضله بالإشراف علي خلال إنجاز هذا العمل، وتكرمه بنصحي وتوجيهي حتى إتمام العمل.

كما أتقدم بالشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة المتكونة منم الأستادة دارس شهرزاد والأستاد بلخضر وحيد والأستاد محمودي خليفة.

مقدمة:

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة و السلام على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه و سلم أما بعد.

فإن التاريخ الإسلامي يزخر بكم هائل من المذاهب والطوائف الفكرية والفرق الكلامية التي صالت وجالت في مختلف العصور، فعلم الكلام يعتبر من أهم فروع الفلسفة الإسلامية إن لم نقل أهمها، وكان لعلم الكلام الإسلامي شخصية خاصة، ومبادئ ثابتة، لكنه ورغم ذلك لم يحد بعيدا عن الثقافات الأجنبية وعلى رأسها الفلسفة اليونانية، فلم يُفرِط فيها ولم يُفَرِط.

ولعل أهم عوامل ظهور فرق الكلام في التاريخ الإسلامي يعود للقرآن الكريم، فمواضيع القرآن تثير العقل البشري، وتدفعه للبحث عن تفسيرات، والفهم والإدراك، فيظهر علم الكلام كوسيلة لحلحلة المواضيع الشائكة التي اعترضت عقل المسلم، فكان علم الكلام مهتما بمواضيع القرآن كالتوحيد والنبوة والصفات.

إن كان القرآن الكريم فارقا في انبلاج علم الكلام الإسلامي، فلا يجب أن نغفل عن أهمية أن الأحداث السياسية الطارئة حينها أيضا، فقد دفعت هذه الأخيرة البيئة الإسلامية للإسراع في إستعمال علم الكلام، لربح الجدال وإيجاد الحجج، وإتقان المناظرات، فكان لزاما على كل فريق سياسي، إستعمال الفلسفة وعلم الكلام، لتوضيح رأيه، وترجيح كفته في وجه الخصوم.

لا شك أن من أهم الفرق الكلامية إن لم نقل أهمها على الإطلاق التي غزت الأوساط الفكرية الإسلامية فرقة المعتزلة، هذه الفرقة التي جاءت بفلسفة جديدة ودخيلة على المسلمات المجتمعية الإسلامية، حتى أن أفكارها اعتبرت أفكارا شاذة عن المألوف والمتعارف عليه، هذه الفرقة أخذت من العقلية منهجا، ومن الجدال والحجاج وسيلة لحل الخلافات وفرض الآراء والمعتقدات.

فسعى المعتزلة جاهدين إنطلاقا من مواضيعهم التي كانت جسرا لهم، إلى ولوج عالم السياسة، وإقتحام دواليب السلطة، فكانت البداية من خلال الوقوف في صف المعارضة ثم الإنتقال للسلطة.

إذن الإشكالية المطروحة:

إلى أي مدى نجح فلاسفة المعتزلة في تطبيق أفكارهم على السلطة السياسية؟

وقد تفرعت هذه الإشكالية إلى مجموعة من المشكلات نذكرهم:

ما مبادئ المعتزلة وعلى ماذا إعتمد فكرها؟

ما هي أصول المعتزلة الخمسة؟

كيف تصرف المعتزلة إبان عصور القوة والإزدهار؟

ما السبب في إضمحلال فكر المعتزلة وخفوت بريقه؟

أما عن دوافع إختياري للموضوع:

1- دوافع ذاتية: إخترت هذا الموضوع بالذات نظرا للإنجداب الذي طالما إعتراني لهذه الفرقة المؤمنة إيمانا جازما بالعقل، فدائما ما كنت نهما للإطلاع والتعمق حول كل ما يمت للمعتزلة بصلة، وقد كانت مذكرة التخرج بمثابة الفرصة المثالية للإطلاع أكثر على هذه الفرقة.
2- دوافع موضوعية: في عصر كعصرنا الحالي، وأزمات فكرية كالتي نعيشها اليوم، نحن في أشد الحاجة وكما لم نكن يوما للمعتزلة بفكرهم العقلي المحض، فإثارة موضوع المعتزلة قد يكون مفيدا للوسط الفكري والمجتمعي.

وبالنسبة للمنهج فقد إتبعت المنهج التاريخي التحليلي وذلك لتتبع التطورات المختلفة التي طرأت على فرقة المعتزلة وتبلور منهجهم الفكري وتشعب أفكارهم وتوسعها، ومواجهتهم لشتى الإشكاليات المستعصية.

إنطلاقا من الاشكاليات المطروحة تم تقسيم البحث الى فصلين إضافة الى مقدمة وخاتمة.

تطرقت في الفصل الأول خلال فصوله الثلاثة للحديث عن مبادئ المعتزلة و أُصولها، ثم إنتقلت لشرح معتقداتهم و أفكارهم و توجهاتهم في القرآن و الذات الإلاهية.

أما الفصل الثاني فكان سردا تاريخيا و فكريا للمعتزلة في عصور الدولة الأموية و العباسية خاصة في عهد المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل كما وضحت البنية السياسية للمعتزلة بالإضافة لإستعصاء فكر الفرقة عن الإندثار وشموخه حتى بعد الإضطهاد.

وأخيرا الخاتمة تلخص كل النقاط المدروسة سابقا، وتجيب عن الإشكالية المطروحة.

- **الفصل الأول: المعتزلة بين المبادئ والأصول**
  - **المبحث الأول: نشأة المعتزلة وأصل التسمية**
    - **تعريف المعتزلة**
    - **نشأة المعتزلة**
    - **أصل التسمية وعوامل الظهور**
  - **المبحث الثاني: مبادئ المعتزلة**
    - **التوحيد**
    - **العدل**
    - **الوعد و الوعيد**
    - **المنزلة بين المنزلتين**
    - **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**
  - **المبحث الثالث: مسألة خلق القرآن في فكر المعتزلة**
    - **نشأة فكرة خلق القرآن**
    - **نفي المعتزلة صفة الكلام عن الذات الإلاهية**
    - **مذهب المعتزلة في القرآن**
    - **آراء الخصوم في خلق القرآن**

تمهيد

تعتبر فرقة المعتزلة واحدة من أهم الفرق التي وضعت دعائم علم الكلام في الفلسفة الإسلامية، هذه الفرقة التي ظهرت أولا في البصرة ثم انتشرت، و كانت نشأة الاعتزال كرد فعل على الاحتقار الشبه كلي للعقل من طرف الفرق الاسلامية في عصرها، كما أن المعتزلة كانوا اليد الغليضة على كل من تسول له نفسه انتقاد الاسلام أو التقليل من شأنه، وذلك ما تجلى بوضوح في أفكار فلاسفتها وأقطابها، الذين كان لهم الأثر الواسع والوقع الشديد في تحديد أطروحاتها وصياغة مشكلاتها، ومحاولة معالجتها معالجة جادة، تتماشى مع روح التفلسف وتضمن حرية التفكير وإبداء الرأي في مجمل المواضيع الفلسفية والدينية، بالاعتماد على المبادئ الخمسة التي تعتبر الخط الأحمر الذي وضعه المعتزلة لمذهبهم، فكان التسليم بالمبادئ الخمسة أحد الشروط إن لم نقل أهمها للانتساب إلى المعتزلة، وقد شكل العقل تاريخياً المرجع الأساسي للطرح الاعتزالي، والموجه الفعلي لأبعاده وامتداداته، وفي ذلك تقاطع واضح وتشارك صريح مع الطرح الفلسفي القديم خصوصا اليوناني والشرقي، وقد دفعنا هذا الطرح إلى محاولة التعمق في مضامين الفلسفة الاعتزالية ومخرجاتها، ولعل أول ما يهمنا في هذا الصدد هو ظروف نشأتها وأهم مبادئها، فيا ترى ما هي أهم العوامل التي صاحبت ميلاد المعتزلة؟

المبحث الأول: نشأة المعتزلة وأصل التسمية

ظهرت فرقة المعتزلة أوائل القرن الثاني للهجرة كفرقة متمردة عن الطرح الديني السائد حينها والمعتمد بشكل شبه كلي على النقل، دون النظر ولو بطرفة عين للعقل في فهم وشرح النصوص، فاختلف المؤرخون لاحقاً في تحديد جذورها أو تعريف الفرقة تعريفا منسقا ومنصفا، فأطرى عليهم مؤيدوهم، و ذمهم خصومهم.

المطلب الأول: التعريف بالمعتزلة

أولاً: التعريف اللغوي للمعتزلة

المعتزلة من فعل عزل، يعتزل، اعتزالا، و بالتالي فإن الاعتزال مأخوذ من اعتزال الشيء وهو تنحى عنه، و منه تعازل القوم بمعنى تنحى بعضهم عن بعض، و كنت بمعزل عن كذا وكذا، أي كنت في موضع عزلة منه، واعتزلت القوم أي: فارقت و تنحيت عنهم و بالتالي فهي تدل على فصل الشيء عن بعضه و أعتزل فلان أي ابتعد و استقل بحاله [1].

واعتزلت القوم أي: فارقت وتنحيت عنهم وبالتالي فهي تدل على فصل الشيء عن بعضه و اعتزل فلان أي ابتعد واستقل بحاله.

[1] إبن منظور عماد الدين أبو الفضل: لسان العرب، ج11، دار المعارف، القاهرة، ص44

وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى (**وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ**)[1]، أي إن لم تصدقوني ولم تؤمنوا لي أي: إن لم تصدقونني و لم تؤمنوا بالله لأجل برهاني، فاللام في لي لام أجل. و قيل: أي: وإن لم تؤمنوا بي، كقوله: فآمن له لوط أي: به. فاعتزلون أي: دعوني كفافا لا لي ولا علي، قاله مقاتل. وقيل: أي: كونوا بمعزل مني وأنا بمعزل منكم إلى أن يحكم الله بيننا. وقيل:فخلوا سبيلي وكفوا عن أذاي [2]

ورد كذلك في المعجم الوسيط بأنه يقال: أرسلت السماء عزالتها وإنهمرت بالمطر أرخت الدنيا عزاليها وكثر نعيمها، تعني الانعزال، عزلة العزلاء: أي أبعده وأنجاه ويقال: عزل المرضى عن الأصحاء أنزلهم في مكان منعزل اتقاء العدوى، تعازل القوم: تباعد بعضهم عن بعض[3].

ثانياً: التعريف الاصطلاحي للمعتزلة

المعتزلة اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني ' وسلكت منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية وهم أصحاب واصل بن عطاء* الذي اعتزل مجلس الحسن البصي** [4].

ويعرف المسعودي*** في كتابه مروج الذهب بأن " كلمة الاعتزال في اصطلاح المعتزلة هي عبارة عن القول بالمنزلة بين المنزلتين، أي القول بأن المؤمن الذي يأتي بكبيرة هو في منزلة بين المنزلتين أي بين الكفر و الإيمان "[5].

في حين راح الملطي**** وهو من خصومهم - المنصفين -: إنهم أرباب الكلام وأصحاب الجدل والتمييز والنظر والاستنباط و الحجج على من خالفهم و أنواع الكلام، والمفرقون بين علم السمع وعلم العقل والمنصفون في مناظرة الخصوم [1].

---

[1] سورة الدخان – الآية21

[2] محمد بن أحمد القرطبي أبو عبد الله: الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، ج19، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006، ص113.

[3] شوقي ضيف و آخرون: المعجم الوسيط ج2،مجمع اللغة العربية مكتبة الشروق الدولية،مصر،ط1،2004،ص599

* واصل بن عطاء(700م-748م) أبو حذيفة المخزومي، هو رأس الاعتزال، جالس أبا هشام عبد الله بن محمد بن الحنيفة، ثم لازم الحسن، و كان صموتا، و له مؤلف في التوحيد، و كتاب المنزلة بين المنزلتين.(شمس الدين الذهبي:سير أعلام النبلاء،ج5،مؤسسة الرسالة،ط11،بيروت،1996،ص465.)

** الحسن البصري(641م-728م) هو الحسن بن أبي الحسن يسار، نشأ بوادي القرى، كان سيد أهل زمانه علما و عملا، سكن البصرة فكان امام و قاضيا.(شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج4،مؤسسة الرسالة،ط11،بيروت،1996،ص563.)

[4] المعتق عواد بن عبد الله:المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها،مكتبة الرشد،الرياض،ط1995،2،ص14

*** أبو الحسن المسعودي(896م-956م) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي أحد أبرز المؤرخين الكبار، تميز بالروح العلمية و العقلية التاريخية، بالاضافة إلى معرفته الواسعة بمختلف العلوم و الآداب و اللغات العالمية، من أبرز مؤلفاته كتابه الشهير مروج الذهب.(فضيلة صالح: الشيعة في كتاب مروج الذهب للمسعودي، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، جامعة الكوفة، العراق، العدد20، 2017، ص261)

[5] مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار القباء الحديثة، القاهرة، 2007، ص604

أما المنصفين فيقول عنهم القاسمي: إنهم أول من ظهر من الفرق الإسلامية في صدر حضارة الإسلام بقواعد الأصول والعمل على الجمع بين المنقول والمعقول وإنهم من أعظم الفرق رجالا وأكثرهم أتباعا[2].

المطلب الثاني: نشأة المعتزلة

خلال معركة الجمل التي جرت وقائعها بالبصرة بين جيش علي رضي الله عنه وجيش عائشة رضي الله عنها، ظهرت طائفة اتخذت من الحياد سبيلاً فقررت اعتزال الفريقين المتنازعين المتصارعين متحججين على ذلك بأن الحق ليس مع أي من الفريقين وبالتالي فإن معتزلة الصدر الأول من الإسلام كانوا فرقة سياسية ترهقها صبغة دينية، و لكنها في عمقها سياسية محضة ويظهر ذلك جليا، " فالحزب أو الطائفة التي أطلق عليها في الصدر الأول اسم معتزلة كانت تمثل فكرة سياسية مصبوغة بالدين إذا أردنا أن نلخص رأيها في كلمة قلنا: إنها ترى أن الحق ليس بجانب إحدى الفرقتين المتنازعتين، فهما على باطل، أو على الأقل لم ينكشف الحق في جانب إحداهما. والدين يأمر بقتال من بغى فإذا كانت الطائفتين باغيتين، أو لم يعرف الباغي، اعتزلنا " [3]. فيكون السند التاريخي لهذا الاعتزال هو الآية القرآنية < وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلو التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله > [4].

فهناك من يرى وجود العلاقة بين معتزلة واصل بن عطاء ومعتزلة صدر الإسلام، ولكن ذلك جانب الصواب جملة و تفصيلا، فمعتزلة صدر الاسلام اتخذوا من الاعتزال سبيلا للحياد عن المواقف السياسية بين علي رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها، أما معتزلة واصل بن عطاء، فكان اعتزالهم في حد ذاته توجها سياسيا وعقائديا، أرادوا به فسح المجال للعقل والتفكير النقدي، فالتشابه بينهما إذا يقتصر على الاسم فقط، أما من الناحية الفكرية و الموضوعية فمعتزلة الصدر الأول و معتزلة واصل خطان متوازيان لا يلتقيان أبدا.

**** أبو حسن الملطي(توفي987م)محمد بن أحمد بن عبد الرحمان أبو الحسين الملطي الشافعي، فقيه مقرئ متقن ثقة، تصدر إلى تعليم القرآن، و لسنة النبي عليه الصلاة و السلام، و اشتهر بالصدق و الأمانة، احتل مكانة سامية بين العلماء و اشتهر بالثقة و الاتقان، و قيل فيه أنه كثير العلم و التصنيف في الفقه، توفي بعسقلان.

[1] أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، دار النهضة العربية، بيروت، ط5، 1985، ص103

[2]مصدرنفسه، ص104

[3]أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي بيروت ط2، 1969، ص123

[4]سورة الحجرات، الآية 9

*ابن المرتضى(1362م-1437م)أحمد بن يحيى بن المرتضى المهدي لدين الله، أحد الأئمة الزيديين اللامعين، تلقى العلوم الأدبية و اللغوية و الدينية من أسرته فبلغ حد مبايعة العلماء له بالإمامة بعد وفاة الامام الناصر صلاح الدين، قبل أن يسجن فيؤلف و ينتج آثارا لها مكانة كبرى في الأوساط العلمية إلى أن وافته المنية.(جعفر السبحاني: بحوث في الملل و النحل،ج7،مؤسسة الإمام الصادق،قم،1428هـ،ص420)

عندما يتعلق الأمر بالمعتزلة سنندهش من شساعة الآراء و تباينها حول العوامل التي كانت فارقة في نشأة هذه الفرقة.

يصنف المعتزلة نشأة فرقتهم لاثنى عشر طبقة، كما يؤكدون على أن مذهبهم نابع من الرسول صلى الله عليه و سلم، و هو ما أكد عليه ابن المرتضى* في كتابه طبقات المعتزلة حين قال: "وهي أن طبقاتهم على ما فصله قاضي القضاة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"[1]، فيؤكد هنا ابن المرتضى بأن المعتزلة أو الفكر الاعتزالي يعود بعراقته للرسول صلى الله عليه و سلم.

يمكن تبرير قول من قال بهذا الاتجاه بأن المعتزلة كانوا متحمسين لمذهبهم مؤمنين به فأسرفوا في الدعاية له فجرهم ذلك ما وجدناه في كتاب من كتبهم المنية والأمل للإمام المرتضي [2].

كان طرح المعتزلة يقر بأن الصحابة رضوان الله عليهم قد ورثوا من الرسول الفكر والمذهب العقلي الذي أطلق عليه الاعتزال لاحقا و ذلك ما ذكره " ابن المرتضى في كتابه المنة والأمل يعتبر جمعا من الصحابة الأجلاء رجالا في الطبقة الأولى للمعتزلة وعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه على رأسهم، ويروى الأخبار التي تدل على قوله بالقدر من الإنسان، ورفض الجبر"[3].

أطلق لفظ المعتزلة بالمعنى السياسي على من اعتزلوا الحرب بين علي وخصومه متخدين موقف الحياد، إلا أن ميلاد المعتزلة كمذهب قائم على أسس فلسفية دينية كانو في بداية القرن الثاني للهجرة، فيقول في هذا جار الله الزهدي: " لم تعين أصول التاريخ العربي التي ظهر فيها المعتزلة، وكل ما ذكرته أنهم ظهروا في البصرة في حلقة الحسن البصري، و انشقوا عنها، و نحن نعلم أن الحسن البصري توفي سنة 110 هجرية، وأن الرجلين الّذين أسسا المدرسة الاعتزالية هما واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، ولدا سنة 80 هجرية، فلا يعقل بدء هذه الحركة قبل العشرين، وعلى ذلك يكون المعتزلة قد قاموا بداية القرن 2 هجرية، في السنة المحصورة بين 100 و 110 هجرية "[4]

بينما يردد كم هائل من المؤرخين و كتاب الفرق -لعل جلهم من خصوم المعتزلة- هذه الرواية كنقطة فاصلة لنشأة هذه الفرقة: دخل رجل على الحسن البصري و قال: يا إمام الدين: لقد ظهر في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، و الكبيرة عندهم كفر يخرج به من الملة، و هم وعيدية الخوارج، و جماعة يرجئون أصحاب الكبائر، و الكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من أركان الإيمان، لا يضر مع الإيمان

---

[1] أحمد بن يحيى بن المرتضى: طبقات المعتزلة، فرانز شتاينر، فيسبادن،ص8

[2] هانم إبراهيم يوسف: أصل العدل عند المعتزلة، دار الفكر العربي القاهرة ط1، 1993 ص21.

[3] أحمد بن يحيى المرتضى: المنية و الأمل، دار مطبعات الإسكندرية، 1972م، ص17.

[4] زهدي حسين جار الله: المعتزلة،الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت ، ص12.

معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة و هم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك إعتقادا؟ فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن إطلاقا ولا كافر مطلقا بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولاكافر، ثم قام واصل وإعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فسمي هو و أصحابه معتزلة[1] ، ومن خلال هذه الحادثة أو القصة يظهر من أين أتى المعتزلة بتمردهم على كل ما يعارض أفكارهم، فواصل بن عطاء قاطع معلمه الحسن بعدما لم تعجبه إجابته، فاستنكر عليه قوله، و اعتزل مجلسه، و هو ما قام به المعتزلة خلال تعاملاتهم مع خصومهم السياسيين خاصة.

مع الشهرة التي إكتسبتها هذه الحادثة في إظهار نشأة المعتزلة فإن الأبحاث الحديثة لا تجد فيها مسوغا معقولا ولا مبررا كافيا لما يريده الأشاعرة –خصوم المعتزلة- بتصوير المعتزلة كالمنشقين عن أهل السنة والجماعة، فمع أن القصة لا تشير إلى رأي الحسن البصري حين تطاول تلميده واصل فسبقه إلى إبداء رأيه، فإن رأي الحسن البصري بصدد هذه المشكلة التي كثر فيها الكلام في ذلك الزمان كان معروفا، وهو إن صاحب الكبيرة كافر منافق [2]، وهو رأي من العسير أن نعتبره معبرا عن رأي الجماعة بعد استبعاد الخوارج و المرجئة، فقد سفهه البغدادي فيما بعد لأن المنافق أشر من الكافر [3]، ولا يبطن صاحب الكبيرة الكفر الذي يبطنه المنافق.

يختلف الرواة في نسب بعضهم الحادثة إلى واصل بن عطاء وينسبها البعض الآخر إلى عمرو بن عبيد، يقول السمعاني: المعتزلة نسبة للاعتزال أي الاجتناب، و الجماعة المعروفة بهذه العقيدة إنما سموا بهذا الاسم لأن أبا عثمان عمرو بن عبيد أحدث ما أحدث من البدع و اعتزل مجلس الحسن البصري و جماعة معه فسموا المعتزلة [4]، و إلى مثل هذا الرأي يذهب المقريزي.

في رواية أخرى أن الذي سماهم كذلك قتادة بن دعامة السدوسي، فإذ دخل مسجد البصرة –وكان أكمه- فإذا بعمرو بن عبيد و نفر معه فأمهم و هو يظن أنها حلقة الحسن البصري، فلما عرف أنها ليست له قال: إنما هؤلاء معتزلة ثم قام عنهم، و منذ ذلك الحين سموا المعتزلة [5].

يعلق المسعودي غلى ظهورهم دون الإشارة لإختلاف واصل أو عمرو على الحسن البصري، فيقول المسعودي في مروج الذهب: ومات واصل بن عطاء ويكنى بأبي حذيفة

---

[1] الشهرستاني: الملل و النحل، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1993، ص62

[2] أبي الحسن الخياط: الانتصار،مطبعةدار الكتب المصرية،القاهرة،1925، ص165

[3] البغدادي: الفرق بين الفرق، محمد علي صبيح و أولاده، ص96

[4] السمعاني: الأنساب، ج12، دار المعارف العمانية، ط1، 1963، ص338

[5] طاش كبري زاده: مفتاح السعادة ج2، دار الكتب العلمية بيروت 1985، ص32

في سنة إحدى وثلاثين ومائة وهو شيخ المعتزلة وقديمها وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين، وهو أن الفاسق من أهل الملة ليس بمؤمن ولا كافر وبه سميت المعتزلة [1].

"ظهرت المعتزلة في البصرة التي كانت في ذلك العصر مجمعا للعلم والأدب في الدولة الإسلامية العربية مشبعا جوه بآثار الثقافات الأجنبية تجري إليه وتمتزج فيه، و التي كانت موضعا يلتقي فيه أتباع الأديان المختلفة المنتشرة أنذاك فيحتك بعض تلك الأديان ببعض، وتترك في نفوس أربابها أثراُ بعيداُ وصدى عميقاً[2]، فقد استفاد المعتزلة في بداياتهم من هذا المجتمع المنفتح على الجميع، فساهم في توسعة مداركهم و تنمية ثقافتهم.

إذن فالمعتزلة نشأت في البصرة (العراق) في بداية القرن الثاني للهجري والمؤسس لها الأول هو واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ولدا سنة 80 هجري ومنه فالمعتزلة نشأت مابين 100 ـ 110 هجرية، وهذا ما يوافق ما ذهب اليه المقريزي كذلك في نشأتهم وأنهم ظهروا بعد المائة الأولى من سنين الهجرة [3].

المطلب الثالث: أصل التسمية وعوامل الظهور

أولاً: أصل التسمية

لقد انعكس هذا الاختلاف حول أسباب نشأة المعتزلة وسبب التسمية على مصدر هذه التسمية، هل جاءتهم من الخصوم أم أطلقوها على أنفسهم، فقد ترددت كلمة الاعتزال وكلمة المعتزلة كثيرا في تاريخ الصراع السياسي الفكري في الإسلام قبل نشوء هذه الجماعة التي استقر عليها اسم المعتزلة في نهاية القرن الأول للهجرة وأواخر القرن السابع للميلاد وأصبحت كلمة الاعتزال منذ ذلك الحين تعني الاشارة إلى مذهب هذه الجماعة بما تفرد به من آراء في جملة من الأصول العقائدية الإسلامية وبما تفرد به كذلك من منهج عقلي في معالجة هذه الآراء[4]، فاستحوذ المعتزلة باسم الاعتزال فصار اسم المعتزلة وصفة الاعتزال تؤدي مباشرة للفرقة التي تم تعريفها بأنها "فرقة من المتكلمين يخالفون أهل السنة في بعض المعتقدات وعلى رأسهم واصل بن عطاء الذي إعتزل وأصحابه الحسن البصري."[5] ، فيعتبر أصل الكلمة بمثابة تنحيهم أو اختلافهم بآرائهم في العديد من الأفكار لعل أبرزها فكرة مرتكب الكبيرة ومخالفة واصل بن عطاء لرأيهم وتنحيهم من مجلس الحسن البصري.

تعتبر فرقة المعتزلة أحد أهم الفرق الكلامية إن لم نقل أهمها على الإطلاق، فأسسوا علم الكلام، واتخذوا من المذهب العقلي ميزاناً وبوصلة لتحديد الصواب وتحييد الخطأ، فجعلوا

---

[1] المسعودي: مروج الذهب ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1985،1، ص152

[2] زهدي حسين جار الله: المعتزلة، المرجع السابق، ص1

[3] عواد بن عبد الله العتيق: المعتزلة و موقف أهل السنة منها، مكتبة الرشد الرياض 1995 ط2، ص27

[4] الشهرستاني: الملل والنحل، المرجع السابق، ص62

[5] محمد الصالح السيد: مدخل الى علم الكلام، دار القباء القاهرة. 2001، ص219

على عكس كل الفرق السائدة حينها، العقل متقدما عن النقل، كما اتخدوا من أصولهم الخمسة دليلا وشرطاً للانضمام لهم، أو تبني أفكارهم، فلا يعتبر معتزلياً، من لم يقل بالأصول الخمسة، " ذكر الخياط أنه لا يستحق اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد – العدل – الوعد و الوعيد – المنزلة بين المنزلتين – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - الأصول الخمسة تمثل الخط العام لفكر المعتزلة، وهم قد اتفقوا عليها، ولا يعني هذا انعدام الخلاف بينهم، فلقد كان هناك بعض الخلافيات في الفروع التي أنبنت على تلك الأصول، لكن هذه الأصول الخمسة تمثل الأساس العام لفكر المعتزلة."[1].

جاء في تعريف الملطي وهو من خصوم المعتزلة: " إنهم أرباب الكلام وأصحاب الجدل والتمييز والنظر والاستنباط والحجج على من خالفهم، وأنواع الكلام والمفرقون بين علم السمع وعلم العقل والمنصفون في مناظرة الخصوم "[2]، فهنا يقر الملطي رغم أنه من خصومهم، بتفوق المعتزلة الكاسح في فنون الجدل والحجاج وعلو كعبهم حين المناظرات، حتى أنه وصفهم بأرباب الكلام، وأكد على أن الفرقة منصفة في المناظرات، فكان قول الملطي كافياً ووافياً للتأكيد على براعة المعتزلة في الجدال وقوة حجتهم في المناظرات المختلفة.

لقد حصل أتباع واصل بن عطاء على عدة ألقاب وتسميات أطلقت عليهم سواء من خصومهم أو حتى تسميات أطلقوها على أنفسهم لعل أهم هذه الألقاب لقب **العدلية** و ذلك نسبة لأحد أصولهم الخمسة ألا وهو العدل، كما سموا أنفسهم بأهل العدل والتوحيد، كما أطلق عليهم خصومهم لقب **المعطلة**، فحسب الخصوم دائما فإن المعتزلة ومن خلال تنزيههم للذات الإلهية عن الصفات تنزيها وصل حد التعطيل، كما سموا أيضا بالقدرية وذلك راجع لإيمان المعتزلة بأن الإنسان مخير لا مسير فهو حر قدره بيده، يقول إبن أثير: سموا قدرية لأنهم أثبتو للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى، ونفوا أن تكون الأشياء بقدر الله و قضائه، ولا يوافق المعتزلة على هذه التسمية إذ يقولون لخصومهم أنتم أولى بهذه التسمية لأنكم تجعلون الأشياء جارية بقدر من الله و مثبت الشيئ لنفسه اولى بالنسبة إليه ممن نفاه عن نفسه، ويبدوا أن نفور كل فريق من أن يلقب بهذه التسمية راجع إلى إعتقاد الفريقين بالحديث الشريف: " القدرية مجوس هذه الأمة "، و يفسره الخصوم أن المعتزلة قد أثبتوا فاعلين: الله والإنسان، كما أن المجوس قد أثبتوا إلهين: النور والظلمة، ومعلوم أن لفظ القدرية قد أطلق أصلا على رواد القول بحرية إرادة الإنسان من المتكلمين وأعني بهم معبد الجهني وغيلان الدمشقي وعمرو المقصوص، ولما كان هذا القول قد تبناه المعتزلة من بعدهم فقد حاول خصومهم لصق التسمية بهم [3].

---

[1] علي عبد الفتاح المغربي: الفرق الكلامية الإسلامية مدخل دراسة،مكتبة وهبة،القاهرة ط2 1995 ص203

[2] أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، المرجع السابق،ص103

[3] جمال الدين القاسمي الدمشقي: تاريخ الجهمية و المعتزلة، مؤسسة الرسالة،ط1979،1،ص54

وأطلق الامام أحمد بن حنبل* على المعتزلة لقب الجهمية وجاء ذلك في كتابه: الرد على الجهمية، وسماهم كذلك نسبة للجهم بن صفوان، لأن مناظرات الامام أحمد بن حنبل مع الجهمية كانت حول نفي الرؤية والصفات وخلق القرآن فضلا عن التأويل العقلي واعتبار العقل مصدر المعرفة، يقول القاسمي: إن تلقيب المعتزلة بالجهمية إنما كان لما وجد من موافقتهم الجهمية في تلك المسائل مع مراعاة سبقهم فيها على المعتزلة و تمهيدهم السبيل للتوسع فيها [1]. وحري بنا التنويه لأن المعتزلة يرفضون جملة وتفصيلا اعتبار الجهم رجلا من رجالاتهم أو طبقاتهم، فالاختلاف بينهم كان جوهرياً، فقد كان الجهم مجبرا وكان المعتزلة قدرية، والإيمان عند الجهم اعتقاداً في القلب فقط بينما هو لدى المعتزلة اعتقاد وقول وعمل أي ما وقر في القلب ونطق به اللسان وصدقه العمل.

وقد ذكر المقريزي تسميات أخرى أطلقها الخصوم ولكنها ليست شائعة كاسم المفنية لقول أبي الهذيل العلاف بفناء حركات أهل الخلدين واللفظية لقولهم ألفاظ القرآن مخلوقة والقبرية لإنكارهم عذاب القبر [2]، بالإضافة إلى تسمية الثانوية المجوسية فيقول المقريزي: " أن المعتزلة يدعون الثانوية لقولهم الخير من الله والشر من العبد وكان المعتزلة الأقدمون يقولون: أن الله تعالى يخلق الخير وأن الشيطان يخلق الشر وهذان القولان يشبهان قول الثانوية المجوسية لذلك سموا بهذا الإسم مجوس الأمة " [3].

كما أطلق على المعتزلة لقب الخوارج أو مخانيث الخوارج و ذلك راجع إلى مشاييخهم الأولين واصل بن عطاء وعمروا بن عبيد كانوا يوافقون الخوارج في تخليد مرتكب الكبيرة في النار مع قولهم بأنه ليس بكافر [4].

غالبا ما أطلق خصوم المعتزلة الألقاب عليهم انطلاقا من موضوع الخلاف،فسماهم اهل السنة قدرية نظرا لقول المعتزلة أن الإنسان هو من يصنع قدره، يقول البغدادي: "إن أهل السنة سموهم قدرية لأنهم يذهبون إلى الناس هم الذين يقدرون أعمالهم و أن الله تعالى ليس له فيها صنع ولا تقدير"[5]، ونظراً لتشابه المعتزلة مع المجوسية في قول أن الخير من الله والشر من الشيطان، فقد أطلق عليهم لقب الثنوية والمجوسية، يقول المقريزي: "إن المعتزلة يدعون الثنوية لقولهم الخير من الله والشر من العبد"[6]، وتشابه المعتزلة أيضا مع الجهمية

---

* الإمام أحمد780م-855م: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله ولد بمروفي بفارس، حفظ القرآن و تعلم اللغة في صباه، نهما للعلم في شبابه تتلمد على يد الشافعي و تتلمد على يده أحمد بن محمد الكحال و صالح و عبد الله ابناه، اشتهر بمناظراته الماراتونية مع المعتزلة حول معضلة خلق القرآن، من مؤلفاته المسند، أصول السنة، الرد على الجهمية و الزنادقة.(مصطفى الشكعة: الأئمة الأربعة الإمام أحمد بن حنبل،دار الكتاب المصري،القاهرة،1990،ص7)

[1] المرجع نفسه،ص44

السبحاني: بحوث في الملل و النحل،مرجع سابق،ص420

[2] تقي الدينالمقريزي: الخطط المقريزية ج4،مطبعة النيل،1326ه، ص169

[3] محمد إبراهيم الفيومي: المعتزلة تكوين العقل العربي،دار الفكر العربي،القاهرة،ط1، ص133

[4] المرجع نفسه،ص135

[5] زهدي حسين جار الله: المعتزلة، المرجع السابق، ص6

[6] المرجع نفسه، ص7

في عديد المواقف واتفقوا على عديد النقاط لعل أبرزها خلق القرآن ونفي الصفات، ولذلك أطلق عليهم أيضا اسم الجهمية، كما أطلق عليهم الخصوم أيضا ألقاب كالخوارج و الوعيدية والمعطلة.

لقد تطرقت بالحديث على هذه الألقاب المتعددة والمتنوعة لتنوير المطلع والتوضيح له عل أحد هذه الألقاب قد وردته من كتب أو مقالات أو مكتسبات قبلية، أما بصدد البحث الموضوعي فلا يشار لهم بغير اسم المعتزلة.

ثانياً: عوامل ظهور المعتزلة

لقد كانت العوامل التي أدت لظهور الفكر الإعتزالي هي نفسها العوامل التي كانت سببا في نشأة حركة علم الكلام الإسلامي المبكر بصفة عامة، فقد قامت حركة الفكر الإعتزالي للدفاع عن العقيدة الإسلامية بأساليب الحجاج العقلي، في مواجهة المنحرفين عنها والخارجين عليها وقد استندت في مواقفها إلى نصوص القرآن والسنة مع استخدام منهج التأويل العقلي للنصوص لتفسير الوحي على مقتضى العقل[1]، فكان المعتزلة السور الحامي للهجمات الفكرية و الشبهات الواهنة التي طالت الاسلام من الخصوم.

لعل أهم ما كان فارقا في انبلاج الفكر الإعتزالي هو إطلاع المؤسسين والرواد على غير المسلمين الناشئين في العالم الإسلامي، المزدكيين في العراق و النصارى واليهود في سوريا، الإثنينية في بعض الفرق الإيرانية، وتفطن المعتزلة للأفكار اليهودية والمسيحية وردوا عليها من خلال أحد أصولهم الخمسة أصل التوحيد فكان بمثابة الرد على عقيدة التثليث [2]، فكان الإطلاع على أديان ومعتقدات الخصوم الخطوة الأولى نحو تقوية الجبهة الدفاعية للإسلام والرد على كل الشبهات المنبثقة، ولكن ذلك لم يكن كافيا فكان لزاما على المعتزلة، توسيع مداركهم وتعلم الأساليب الملائمة للحجاج والجدال، مع الخصوم الذين كانوا متقدمين عليهم بأشواط في هذا المجال، نظرا لوجود الأدوات المناسبة لتعلم الفلسفة، وقد ورد في كتاب المعتزلة وموقف أهل السنة منها: "وقد وجدوا حينداك صعوبة بالغة في مجاراة غير المسلمين في كل من مصر وسوريا وفارس والعراق فقد كانوا أهل حضارة وأصحاب ثقافة وإطلاع على العلوم العقلية والفلسفة كما كانت حججهم مبنية على أسس فلسفية ومنطقية وذلك راجع لانتشار المدارس الفلسفية، فعادت تبعية مصر وسوريا للبيزنطيين عليهم بالفائدة فتأثروا بملامح الحضارة البيزنطية العابقة بمدنية الرومان والإغريق، فأسسوا مدارس نذكر منها مدرسة الاسكندرية بمصر التي كانت ميدانا لحركة

[1] محمد علي أبوريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1992، ص154

[2] هنرى كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، عويدات للنشرو الطباعة بيروت لبنان ط2، 1998،ص174

لاهوتية رمت للدمج بين الديانة اليهودية و الفلسفة ومدرسة أنطاكيا بسوريا التي اهتمت باللاهوت فأخرجت فرقاً مسيحية كاليعقوبية والنسطورية[1]".

في حين اشتهرت مدرسة جند نيسابور بفارس والتي تأسست في القرن السادس ميلادي واهتمت بترجمة الكتب الاغريقية من اليونانية الى الفارسية وهو ما اسهم في نهل الفرس من الحضارة الاغريقية و حتى الهندية نظرا للقرب الجغرافي [2].

كل هذا وذاك وضع المعتزلة في موضع ضعف أمام خصومهم الغير مسلمين، وهو ما جعل دراستهم للفلسفة أمرا إلزاميا لمواكبة الأنداد وترجيح الأفكار، فدرس المعتزلة وأتقنوا المجادلة وذلك بعد ما شجع المنصور على حركة الترجمة و حث الرشيد والمأمون على نقل الكتب اليونانية إلى العربية، يقول المقريزي في ذلك "أنه ترجم بأمر المأمون في بضعة أعوام عدة كتب تلقاها المعتزلة وأقبلوا على تصفحها والنظر فيها[3]"، فاشتد ساعدهم بها وأول معتزلي استفاد من تلك الكتب فائدة ملموسة هو النظام الذي طالع كما يروي الشهرستاني كثيرا من كتب الفلسفة و خلط كلامهم بكلام المعتزلة [4].

فتأثر الاعتزال بالفلسفة اليونانية وهو ما ساعد على ظهور واشتهار الفرقة فنهلهم من الفلسفات قوى حججهم ونمى آرائهم ونوعها، كما برعوا في المناظرة فصاروا الفرقة الأبرز إن لم نقل الأوحد التي تقف في وجه كل معادي للإسلام، فارتفع شأنهم وعلى ذكرهم و زادت شهرتهم.

لقد كان من دواعي ظهور الفكر الاعتزالي انتشار الجبرية الجسمية التي تعطل الفعل البشري من خلال صورتهم المجسمة لله والتي ألغت السياسات المختلفة للظواهر الطبيعية والاجتماعية وبالتالي إلغاء حرية الفرد، فجاء الاعتزال لتوضيح التصور الإسلامي التوحيدي عن الله، فالاعتزال إذا قد نفى مختلف الآراء المحدودة و المتناقضة و الجزئية للفرق الفكرية و الدينية [5].

يقول ابن حزم متحدثا عن الفرس "إنهم رأو أن الكيد للإسلام والمسلمين بالحيلة أنجح، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، وإستشناع ظلم علي رضي الله عنه، و سلكوا بهم مسالك مختلفة حتى أخرجوهم عن الاسلام فتم لهم ما أرادوا من التفرقة بين المسلمين وإدخال البدع والضلالات المناوئة للدين

---

[1] عواد بن عبد الله العتيق: المعتزلة و موقف أهل السنة منها،مرجع سابق، ص48

[2] المرجع نفسه، ص49

[3] أحمد تقي الدين المقريزي: الخطط المقريزية ج4،المرجع السابق، ص183

[4] الشهرستاني: الملل و النحل، المرجع السابق، ص60

[5] هنرى كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، المرجع السابق،ص176

"[1]، فتم لهم ما أرادوا من التفرقة بين المسلمين وإدخال البدع والضلالات المناوئة للدين، يقول البغدادي: إن البدع والضلالات في الدين ما ظهرت إلا من أبناء السبايا [2]، فكان دس البدع وزرع الفتن الحل الأخير للفرس المجوس، لزعزعة الدين وتفرقة المسلمين.

انطلاقاً من ذلك فقد نتجت فرق كالجسمية والرافضة والحركات العقائدية المناوئة للإسلام كالزنادقة والروندية، هدفت لزرع الشك في القلوب، وتشويه الإسلام والمسلمين.

لقد رأى المعتزلة أنه يلزمهم جهاد الشرذمة الناتئة، فوضعوا الكتب للرد عليهم، وناظروهم مناظرات جمة إقتداء برئيسهم واصل بن عطاء، و على دربه مشى تلامذته انطلاقا من عمرو بن عبيد الذي ناظر جرير بن حازم الازدي في البصرة فقطعه [3]، مرورا بأبو الهذيل العلاف الذي ألف الكتب في نقض مذاهب المخالفين وابطال حججهم بالبرهان القاطع الذي لا تشوبه شائبة ولا تعكره شاردة، وصولا إلى النظام الذي كان لا يألو جهدا في مكافحة المخالفين، من ذلك أنه جمع مجلسا بين النظام وبين الحسين محمد النجار الجبري، فألزمه النظام الحجة [4]، فكانت هذه الاجتهادات كفيلة بزجر زراع الفتن ومعكري الصفو، وتقديم المعتزلة كحماة للإسلام .

كما كان القرآن الكريم منطلقا لنشأة علم الكلام ثم المعتزلة لاحقا، فلقد حث القرآن المسلمين على التفكر و التدبر << إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون >> [5]، أي دلالة لقوم يتفكرون[6] كما ذم القرآن من لا يفكر << وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالو بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون >>[7]، ويتجلى في هذه الآية حث الله على التفكير وذمه للتقليد يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية: "ذم الله تعالى الكفار لاتباغعهم آبائهم في الباطل[8]، وما إيمان سيدنا إبراهيم بالله عز وجل إلا دليل قاطع على وجوب التفكر، فسيدنا إبراهيم أبى وامتنع عن عبادة الآفل [9]، فكان إيمانه عن يقين لا غبار عليه ولا تشكيك.

كما تعرض بعض السور حوارا منطقيا لإفحام المشركين يقول أبو الحسن الأشعري: وأما الكلام في أصول التوحيد فمأخوذ أيضا من الكتاب [10]، فكلام المتكلمين في الحجاج في

---

[1] إبن حزم الأندلسي: الفصل في الملل و الأهواء و النحل ج2، مكتية السلام العالمية، ص91

[2] عبد القادر البغدادي: مختصرالفرق بين الفرق،مطبعة الهلال،مصر،1924، ص 100

[3] ابي الفرح الأصفهاني: كتاب الأغاني ج3، دار الكتب المصرية القاهرة ط1، ص146

[4] عواد بن عبد الله العتيق: المعتزلة و موقف أهل السنة منها،مرجع سابق،ص46

[5] سورة النحل، آية 11

[6] القرطبي:الجامع لأحكام القرآن،ج12،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط2006،1،ص293

[7] سورة البقرة 170

[8] القرطبي:الجامع لأحكام القرآن،ج3،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط2006،1،ص16

[9] سورة الحشر، 21

[10] أحمد محمود صبحي: في علم الكلام،مرجع سابق، ص25

التوحيد والعدل وسائر المواضيع مرجعه لآيات الذكر الحكيم نذكر منه على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى << أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم >> [1]

المبحث الثاني: مبادئ المعتزلة

لطالما توالت الفرق الممارسة لعلم الكلام على الحضارة الإسلامية، ولعل فرقة المعتزلة كانت الأبرز والأهم في هذا المجال، فجاءت بفكرها العقلي الخاص و حاول المعتزلة جاهدين محاولة حل المشاكل العقائدية والدينية، شأنهم في ذلك شأن جل الفرق الكلامية، وهو ما أجج الصراع عوض حله.

لكن الأثر الأكبر في الحضارة الإسلامية من بين كل الفرق الكلامية، كان ذلك الأثر الذي تركته المعتزلة، فعالجت هذه الفرقة كل المسائل الجدلية بمنظور عقلي تام، فرفضت كل ما يرفضه العقل ولا يتقبله، فاعتمدت في ذلك على الأصول الخمسة.

لقد تبنى المعتزلة خمسة مبادئ رئيسية، من قال بها جميعا استحق مبدأ الاعتزال، يقول الخياط أحد رؤوس المعتزلة في القرن الثالث: " وليس يستحق أحدهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد والعدل، الوعد و الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "[2]، فما هي أصول المعتزلة الخمسة؟

المطلب الأول: التوحيد

التوحيد هو الجوهر في الفكر المعتزلي، فهو النواة الثي ينبثق منها هذا الفكر، فلطالما حاول المعتزلة تنزيه الله عن الصفات، وقد اعتقدوا بل جزموا أن رؤية الله يوم القيامة مستحيلة، فذلك يلزم الجسمية، ويقر المعتزلة بأن الصفات هي الذات، رغم أنهم لا يجمعون على ذلك، إلا أن جلهم يظن بذلك، وبني هذا الاعتقاد انطلاقا من وحدانية القديم، أي أن القرآن مخلوق الله سبحانه و تعالى، فالمعتزلة كانوا ينفون كل ما يوهم بذلك في قولهم " فالذي يهم طائفة المعتزلة من الاعتقاد، القول بأن الله تعالى قديم و القدم أخص وصف ذاته، ونفوا الصفات القديمة أصلا. فقالوا هو عالم بذاته، قادر بذاته حي بذاته، لا بعلم، و قدرة، وحياة، وهي صفات قديمة، ومعان قائمة به، لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف، تشاركه في الألوهية"[3]، فحسب المعتزلة تم ربط القدم بذات الله، وعملوا جاهدين على نفي الصفات القديمة واعتبروا أن وجود صفات القدم يعتبر إشراكا لها الله في الألوهية.

"اتفقوا على أن كلامه محدث، مخلوق في محل، وهو حرف وصوت، كتب أمثاله في المصاحف، حكايات عنه فإن وجد في محل عرض، فقد فني في الحال. وقد أتفقوا أن

---

[1] سورة الرعد 16

[2] أبي الحسن الخياط: الانتصار،مرجع سابق، ص166

[3] الشهرستاني: الملل و النحل، مرجع سابق،ص57

الإرادة، و السمع والبصر، ليست معاني قائمة بذاته، و لكن اختلفوا في وجوه وجودها،وتحليل معانيها، واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالإبصار في دار القرار، ونفي التشبيه عنه من كل وجه، وجهة و مكان، و صورة، و جسم، و تمييز، و انتقالا، و زوالا، وتغيراً، وتأثراً، وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها، وسموا هذا النمط توحيدا " [1]، فالمعتزلة يرون أن مشاركة الله في صفاته يعتبر بطريقة أو أخرى مشاركة له عز وجل في الألوهية، ولذلك فإن الله قديم بذاته لا يتصف بصفات البشر، كما أجمع المعتزلة على استحالة رؤية الله تعالى بالعين في الجنة، فنفوا التشبيه عنه جملة و تفصيلا.

المطلب الثاني: العدل

لا يختلف مسلمان مهما كان مذهبهما أو طائفتهما حول العدل الإلهي، إلا أن المعتزلة كانوا السباقين في تعميق مفاهيم المسلمين عن العدالة الإلهية انطلاقا من العقل والمنطق، فالمعتزلة هم أهل العدل والتوحيد، وكما حكموا العقل في مسألة التوحيد، فعلوا نفس الشيء في مسألة العدل الالاهي، فأقرّوا بأن العدل جوهر صفات الله، و نفوا نفيا تاما عنه عز وجل كل ملامح ومظاهر الظلم والجور، يرى المعتزلة أن الله يحب الخير لخلقه فلا يريد لهم شرا وما يأمرهم به، فالله عز وجل لم يخلق أفعالا خيرة وأخرى شريرة، بل ملّك البشر إرادة خلق أفعالهم، ما جعلهم مستحقين للثواب والعقاب، "أكد المعتزلة على أن الله لا يقوم بشيء إلا لغاية أو هدف، فالله منبع الحكمة، والحكيم إما أن ينتفع بعلمه أو يفيد به غيره، وتعالى الله من أن يستفيد من غيره، وتقدس الله من أن ينتفع من غيره، وإذن فتكون غاية فعله نفع غيره، فكل ما يجري في الكون ويحدث في الطبيعة من ظواهر إنما هو مسيرها لنفع وخدمته" [2]،فالله لا يسعى لضر عباده وإنما يريد صلاحهم دائما، وانطلاقا من هذه القاعدة يرى المعتزلة أن الله يجب عليه فعل الأصلح لعباده، فإن قبل ما فيه غير صلاحهم سيكون ظالما لهم وحاشاه عز وجل من أن يكون ظلاما للعبيد.

لقد رد المعتزلة على المعترضين القائلين بأن أفعال الله ليست معللة بغرض وأنها لو كانت معللة بغرض لاستحال علينا تفسير ما في العالم من شرور، ردوا عليهم بقولهم: أننا لا ندعي الاحاطة بأغراض الله، ولكن الذي نؤكده أن مريد الخير خير، وأن مريد الشر شرير فيكون الفاعل موصوفا بفعله، وتنزه تعالى من أن يكون مريدا للشرور والمعاصي، بل هو مريد لما أمر به من الطاعات أن يكون[3]، ويتجلى لنا من خلال رد المعتزلة أن هدفهم كان التنزيه الكلي للذات الالاهية من شبهات الشوائب و الشرور، والتأكيد على أن الله سبحانه غير مريد للفسق والعصيان و الكفر، أما المباحات فلا يريدها ولا يكرهها.

---

[1] الشهرستاني: الملل و النحل، المرجع السابق، ص58

[2] أبي الفتح الشهرستاني: نهاية الأقدام في علم الكلام، مكتبة المثنى، بغداد، ص307

[3] زهدي حسين جار الله: المعتزلة،مرجع سابق، ص98

وتشعب عن مشكلة العدل الإلهي مشكلة خلق الأفعال أو مشكلة الجبر و الاختيار، فهل الإنسان مسير أم مخير؟ وهل أعمال العباد مخلوقة لهم أم أنها ترجع إلى القدرة الإلهية؟

ترجع خطورة هذه المسألة في أن نفي حرية الارادة إنما يُجب المسؤولية و يرفع التكليف الشرعي عن الإنسان.

انتهى المعتزلة إلى أن الله ليس له في أفعال العباد المكتسبة صنع ولا تقدير لا بإيجاد ولا بنفي[1]، فيرى المعتزلة أن الله عادل و عدله يقتضي منح الحرية لعباده، لا إجبارهم على الأفعال، ثم معاقبتهم على ما أجبروا عليه، و لم يفعلوه بإرادة، فالإنسان مسؤول على أفعاله خالق ومخترع لها.

أما بالنسبة للأفعال المتولدة فإنها تضاف للإنسان على سبيل المجاز ولا يحاسب عليها إذا كان لا يستهدف الشر أو الخطأ [2]، فالقول بحرية الفعل الإنساني يبرر التكليف الشرعي والوعد والوعيد، وإرسال الرسل، و ينفي الظلم عن الله.

وعمد المعتزلة تأويل الآيات الجبر للدفاع عن الاختيار، فتأولوا ما ورد في هذا الشأن من الختم و الطبع، مثل قوله تعالى < ختم الله على قلوبهم > [3]، < بل طبع الله عليها بكفرهم >[4].

يعتقد المعتزلة أن الشرور عقلية، على العاقل إدراكها حتى قبل نزول الوحي، فتصرفات الإنسان يجب أن توزن بميزان العقل قبل ميزان الشرع، فالشرع مجرد مخبر عن هذه الأمور، أما العقل فهو مجرد مدرك لها، فلطالما عاد البشر إلى ميزان العقل، حتى قبل ورود الشرائع، حتى أن الرسل استعانوا بالعقل لنشر رسالاتهم، فحثوا الناس على إدراك الأشياء بعقولهم لاكتشاف الدين و الشريعة.

المطلب الثالث: الوعد والوعيد

الوعد هو كل خير يتضمن إيصال نفع إلى الغير أو دفع ضرر عنه في المستقبل، و يعني هذا المبدأ من مبادئ المعتزلة أن الله وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف و الكذب [5]، بحيث يتمسك المعتزلة بتنزيه الله عن إخلافه الوعود، فيرون بأن الله لا يخلف وعدا قطعه، فوعد الله ووعيده، يدفع الناس لفعل الخير رجاءا لوعد الله، و ترك الشر إتقاءا لوعيده سبحانه وتعالى.

---

[1] هنرى كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية،مرجع سابق،ص177

[2] أبي الحسن الأشعري،مقالات الإسلاميين و إختلاف المصلين، مطبعة الدولة،إسطنبول، ج2، ص61

[3] سورة البقرة، آية 7

[4] سورة النساء، آية 105

[5] أحمد محمود صبحي: في علم الكلام،مرجع سابق، ص157

اعتقد المعتزلة بالوعد والوعيد كرد على المرجئة الذين قالو: " أن من شهد شهادة الحق دخل الجنة وأن عمل أي عمل، كمالا ينفع مع الشرك حسنة كذلك لا يضر مع التوحيد سيئة، و زعموا أنه لا يدخل النار أبدا و إن ركب العظام و ترك الفرائض و عمل الكبائر "[1]، فقد اعتبر المعتزلة ما جاء به المرجئة استهانة بنتائج عمل الدنيا يوم القرار، كما أن ظن المرجئة بأن التوحيد هو تذكرة ولوج الجنة سيعمم الإتكالية بين المسلمين، و ينمي أطماعهم في الغفران الإلهي يوم الحساب، وهو ما يؤدي لانفلات الوضع، و تهاون الناس مع المعاصي و الذنوب.

"إذا علم المذنب أي مرتكب الكبيرة أنه لا يعاقب على ذنبه بل يعفى عنه لم ينجزر عن الذنب بل كان ذلك تقريرا له على ذنبه وعدم التوبة عنه، وكان إغراء للغير عليه "[2]، فللوعد والوعيد أثر نفسي يجعل الإنسان حذرا من عقوبة الله، مصارعا نفسه و شهواته، في سبيل عفته و النجاة من وعيد الله سبحانه و تعالى.

كما أكد واصل بن عطاء أن صاحب الكبيرة سيكون مآله الخلود في النار حتى و إن كان موحدا، فالله لا يخلف وعدا و لا وعيدا، يقول القاضي عبد الجبار" لا خلاف بين الأمة في أن شفاعة النبي صلى الله عليه و سلم ثابتة للأمة، و إنما الخلاف في أنها تثبت لمن؟... ثم قال: فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين " و يقول في موضع آخر: "... فحصل لك بهذه الجملة العلم بأن الشفاعة ثابتة للمؤمنين دون الفساق من أهل الصلاة..." [3]، و ظهر ذلك جليا من خلال وصف الشهرستاني لأصول المعتزلة فأرفق في وصفه لأصل الوعد والوعيد ما يلي " واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة و توبة استحق الثواب و العوض، و التفضل معنى آخر وراء الثوب، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار، و سموا هذا النمط وعدا ووعيدا "[4].

المطلب الرابع:المنزلة بين المنزلتين

نسب هذا الأصل لواصل بن عطاء فقد كان أول من أثار مسألته وهي مسألة تبحث عن الاسم الذي يطلق على مرتكب الكبيرة أ مؤمن أم كافر وما حكمه؟ وما مصيره؟

لقد اعتمدت المعتزلة في حل هذه المسألة اعتمادا كليا على العقل، ولم يكن ذلك غريبا فقد عرف عن المعتزلة ميلهم الشديد لاستعمال العقل في كل مسائل والقضايا، وكان هذا الأصل هو حجر الأساس في تأسيس المعتزلة، حيث وقع الشقاق بين واصل بن عطاء والحسن

---

[1] الحسن بن اسماعيل الأشعري: مقالات الاسلاميين و اختلاف المصليين ج1،مرجع سابق،ص342

[2] الشريف الجرجاني: المواقف للعضد الإيجي،ج2،دار الطباعة العامرة،ص446

[3] عواد بن عبد الله العتيق: المعتزلة و موقف أهل السنة منها، مرجع سابق، ص236

[4] الشهرستاني: الملل و النحل،مرجع سابق، ص58

البصري حول مآل مرتكب الكبيرة، فهل هو كافر مخلد في النار أم مؤمن خاضع لرحمة الله.

و في كتابه الأصول الخمسة صرح القاضي عبد الجبار في تعريفه للمنزلة بين المنزلتين: "هو العلم ببان من قتل أو زنى أو ارتكب كبيرة فهو فاسق ليس بمؤمن، و لا حكمه حكم المؤمن في التعظيم و المدح، لأنه يلعن و يتبرأ منه."[1].

مما لا شك فيه أن المعتزلة أخدوا بالمنزلة بين المنزلتين انطلاقا من أساسات إسلامية فاعتمدوا في ذلك على القرآن الكريم الذي طالما حث على الوسطية والاعتدال لقوله تعالى << و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس >>[2]، كما حثت الأحاديث النبوية أيضا على الوسطية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس الأعلى، فإنه أوسط الجنة، و أعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمان، ومنه تفجر أنهار الجنة"[3]، فيكون الطريق الوسط هو الصراط المستقيم الذي أمر الله عباده باتباعه والذي ورد ذكره كثيرا في الكتاب و السنة، قال الله تعالى << إهدنا الصراط المستقيم >>[4].

لقد حث على بن أبي طالب هو الآخر على الوسطية حيث قال "خير هذه الأمة النمط الأوسط يرجع إليهم الغالي و يلحق بهم التالي"[5]

كما كان الحسن البصري يقول بالمنزلة بين المنزلتين. إذ يروى أن أعرابيا جاءه فقال: علمني دينا وسطا، لا ذاهبا شطوطا، و لا هابطا هبوطا، فقال الحسن: لئن قلت ذاك إن خير الأمور أوساطها[6]، و هنا سيتجلى لنا واضحا العلاقة بين الاعتزال و الحسن البصري، فالواضح هنا أن التوافق كان حليفا بين الحسن و المعتزلة في عديد القضايا و المسائل.

واهتم أرسطو كثيرا بما يعرف بالوسط الذهبي (و هو ما يرادف المنزلة بين المنزلتين عند المعتزلة) فقد بنى عليها فلسفته الأخلاقية، كما أن أفلاطون قد أبان في أحد محاوراته أن الشيء إذا لم يكن حسنا فليس من الضروري أن يكون قبيحا، وبالعكس، أي أن هناك منزلة أخرى بين منزلتي الحسن والقبيح، كالحب الذي يحتل ما بين الحسن وبين القبيح فالحب منزلة وسط يرتفع عن القبح و يصبوا إلى الحسن[7].

---

[1] عبد الجبار بن أحمد الأسد أبادي: الأصول الخمسة،لجنة التأليف و التعريب و النشر، الشويخ،ط1998،1،ص71

[2] سورة البقرة،آية137

[3] عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري: صحيح البخاري،المجلد1،دار البشرى،كراتشي،2016،حديث 2790،ص1330 حديث 2790

[4] سورة الفاتحة،آية 5

[5] أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد: تخريج أحاديث علوم الدين،ج1،دار العاصمة للنشر،الرياض،ط1987،1،ص229

[6] زهدي حسين جار الله: المعتزلة،مرجع سابق، ص55

[7] زهدي حسين جار الله: المعتزلة، المرجع السابق، ص55

والمعتزلة وانطلاقا من المصادر الإسلامية والفلسفة اليونانية، عملوا على المزج بينهما، والتوسع أكثر في فكرة المنزلة بين المنزلتين، فجعلوها مبدأ أخلاقيا، وخطة فلسفية مثلى، تركت في مبادئهم أثرا عظيما.

من خلال ما تطرقنا إليه خلال هذا المطلب يتجلى لنا بأن المعتزلة قد التجئو للوسطية في حل معضلة مرتكب الكبيرة فأقروا بفسقه و جردوه من الإيمان و أبعدوه عن الكفر، فجعلوا من الفسق مستقلا عن الإيمان والكفر، حتى أنهم اعتبروه وسطا بينهما، فمرتكب الكبيرة أدنى من المؤمن درجة، و أعلى من الكافر درجة أخرى، فلا يرتقي لمنزلة الإيمان ولا يهوي لمستنقع الكفر، فكان هذا القول مسألة فقهية لا تحوي قدرا كبيرا من الأهمية.

المطلب الخامس:الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يمثل هذا الأصل الجانب التطبيقي في أصول المعتزلة، و يعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد القلائل القليلة في معتقدات المعتزلة و التي تلقى الإجماع عند المسلمين كافة باستثناء شرذمة قليلة، فالمعتزلة و على غرار كل الفرق الإسلامية ترى أن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر واجب، و الدليل في ذلك قوله تعالى في ذكره الحكيم << كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر >>[1]، فكانت الآية مدحا لأمة محمد و ما أقاموا ذلك و اتصفوا به، فإذا تركوا التغيير و تواطؤوا على المنكر، زال عنهم اسم المدح، ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سببا لهلاكهم[2]، كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "ليس لعين أن ترى الله يعصى، فتطرف حتى تغير أو تنتقل" وأما الإجماع فلا إشكال فيه لأنهم اتفقوا على ذلك[3]، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس اكتشافا معتزليا وإنما حكما شرعيا ذكر في القرآن والسنة ولقي الإجماع.

يعد شيوخ الاعتزال قدوة في مجال الأخلاق الفردية، وتعدت دعوتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مجال الجمهور إلى مجال الحكام لنشر العدل و المساواة بين الناس فكثيرا ما كانوا يعظون الحكام فها هو عمرو بن عبيد الذي يمكن أن نتخده مثالا في هذا الصدد يعظ الخليفة المنصور، بل كان شديدا في عظه له، وكثيرا ما كان يدور وعظة له على نشر العدل ورفع الظلم عن جمهور المسلمين[4].

وقسم المعتزلة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر باعتبارين:

الأول: باعتبار الحكم:

---

[1] سورة آل عمران،آية110

[2] محمد بن أحمد القرطبي أبو عبد الله: الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، ج5، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006، ص264

[3] عبد الجبار بن أحمد: شرح الأصول الخمسة،مكتبة وهبة،القاهرة،ط1996،3،ص142

[4] محمد الصالح السيد: المرجع السابق، ص263

يرى القاضي عبد الجبار: أن مشاييخه أطلقوا القول في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و الواجب أن يفصل القول فيه، فيقال: المعروف ينقسم إلى:

أ - ما يجب و الأمر بهذا القسم واجب.

ب –المندوب إليه: والأمر بهذا القسم غير واجب، لأن حال الأمر لا يزيد عن حال الفعل المأمور به في الوجوب.

ثم قال: وأما المناكير، فهي كلها من باب واحد في وجوب النهي عنها، لأن النهي إنما يجب لقبحها و القبح ثابت في الجميع[1].

الثاني: أقسام الأمر بالمعروف...باعتبار القائمين به:

لقد قسم القاضي عبد الجبار الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر، باعتبار القائمين به إلى قسمين:

أحدهما:ما لا يقوم به إلا الأئمة، وذلك كإقامة الحدود، وحفظ بيضة الإسلام، و سد الثغور، و تنفيذ الجيوش و ما أشبه ذلك.

ثانيهما: ما يقوم به غير الأئمة من كافة الناس، و ذلك مثل: النهي عن شرب الخمور، و الزنا، و السرقة، و ما أشبه ذلك، ولكن إذا كان هناك إمام مفترض الطاعة، فالرجوع إليه أولى[2].

وبالتالي فقد فصل المعتزلة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فتفادوا الفوضى بتقسيم المهام فكفلوا المهام العظيمة للقاضي فقط درءا للفتن، فإقامة الحدود مكفولة للإمام دون غيره.

واستغل المعتزلة أصل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في اضطهاد مخالفيهم وإخلاء الساحة منهم فجعلوهم قد أنكروا بمجرد أن خالفوهم و هو ما تجلى في الموقف الذي جمع واصل بن عطاء ببشار بن برد، فإن واصل بن عطاء حين تبين إلحاد بشار بن برد قال:" أما لهذا الملحد الأعمى المشنف المكتنى بأبي معاذ من يقتله، أما و الله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضعجه، ويقتله في جوف منزله، وفي يوم حفله"[3]، ولم يسكت واصل عنه حتى نفاه البصرة، فذهب بشار إلى حران وبقى فيها إلى أن توفي واصل، فعاد إلى البصرة.

يمكن القول في النهاية بأن المعتزلة قد اجتمعوا بمختلف أطيافهم و شتى روافدهم (إلا أبو بكر الأصم)،على وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وجوبا كفائيا يسقط على

---

[1] عواد بن عبد الله: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها،مرجع سابق،ص269

[2] الجبار بن أحمد: شرح الأصول الخمسة،مصدر سابق،ص148

[3] زهدي حسين جار الله: المعتزلة،مرجع سابق،ص53

البعض إذا قام به البعض الآخر، فاشترطوا على من يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر بأن يكون عالما مطلعا لا جاهلا قد يكون حاضا على المنكر مانعا للمعروف.

المبحث الثالث: مسألة خلق القرآن في فكر المعتزلة

المطلب الأول: نشأة فكرة خلق القرآن

لعل من أهم المسائل إن لم نقل أهم مسألة شغلت المعتزلة وأثارت فكرهم، ونمّت الجدال بينهم وبين خصومهم عامة والحنابلة خاصة، هي مسألة كلام الله أمحدث أو قديم، أمنزل أو مخلوق.

لكن انتشار هذه الفكرة كان على يد المعتزلة وبالأخص في العصر العباسي تحت حكم الخليفة المأمون* الذي عمل المعتزلة جاهدين لاستمالته وجلبهم لصفهم، وهو ما نجح فيه المعتزلة في النهاية، فاقتنع بآرائهم، وأيد أقوالهم وأعلى شأنهم واستند عليهم، فضم المأمون فكرة خلق القرآن إليه، ونشرها في المدينة، وأمر بمعاقبة كل من خالفه وخالف المعتزلة في هذه الفكرة ألا وهي فكرة خلق القرآن[1].

كما أن المأمون قد إستشرس في الدفاع عن فكرة خلق القرآن، فتبناها بعد تبني المعتزلة، فعزل كل قاضي عارض الفكرة، فكانت فترة المأمون فترة القوة والازدهار والانتشار والتشعب للمعتزلة، فحققت الفرقة عدة انجازات بحل المشاكل العقدية، فاهتموا بالعلم والفلسفة، حتى حازوا على قلب الخليفة وساقوا فكره وعقله عن طريق يحيى بن المبارك وثمامة بن الأشرس حتى أن هذا الأخير كان المنعرج الحاسم في إعتزال الخليفة المأمون، وقد جاء في كتاب **في التاريخ العباسي و الأندلسي** أن المأمون وافق المعتزلة فيما ذهبوا إليه من أن القرآن مخلوق: واستغل نفوذه في حمل الناس على القول بذلك، فكتب إلى والي بغداد يطلب منه امتحان القضاة في مسألة القرآن، و أن يأخذ على القضاة عهدا بألا يقبلوا شهادة من لا يقول بخلق القرآن، و أن يعاقب من لم يقل بهذا الرأي[2]، و بالتالي فقد استعمل المأمون سلطته في تكريس أفكاره وإجبار الناس عليها، رغم أن ذلك يخالف معتقدات المعتزلة المتأصلة في مذهبهم و القائلة بحرية الرأي و الفكر.

---

*الخليفة المأمون(170هـ-218هـ)تربى على حب الفرس حتى أنه يوبع بالخلافة و هو في خراسان،ازدهر في عهده الفكر و العلوم كما أسهم في ترجمة الكتب اليونانية، من شيوخه العلاف، توفي بطرطوس غازيا.(أحمد مختار العبادي،في التاريخ العباسي و الأندلسي،دار النهضة العر بية،بيروت،1971،ص101)

[1] زهدي حسين جار الله: المعتزلة،مرجع سابق، ص164

.جعفر السبحاني: بحوث في الملل و النحل،ج7،مرجع سابق،ص420

[2] أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي و الأندلسي،مرجع سابق،ص112

أولا: أدلة المعتزلة على خلق القرآن

لم يكتفي المعتزلة بالتنظير في مسألة خلق القرآن فحسب، بل إستشرسوا في الدفاع عن معتقداتهم في مسألة خلق القرآن فكالوا الكم الهائل من الحجج النقلية و العقلية لإلجام الخصوم.

1. الأدلة النقلية (القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة)

استعمل المعتزلة القرآن الكريم في ترسيخ فكرتهم و تأكيد صحتها و محاججة خصومهم و ربح جدالاتهم و مناظراتهم ضد من يعتقد بأن القرآن كلام الله، بدايه من قوله تعالى <<وأنزلنا من الحديد>>[1]، ويقول القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن: وقيل أنزلنا الحديد أي أنشأناه و خلقناه[2].

واستعملوا كلمة أنزل التي تعني خلق في لسان العرب، ليستدلوا بآياته جل في علاه <<إنا أنزلناه قرآن عربيا>>[3] و <<إنا أنزلناه في ليلة القدر>>[4]، فأثبتوا من خلال الآيات السابقة بأن القرآن خلقٌ من خلقِ الله، فليس كلاما كما أقر الخصوم و إنما مخلوق.

كما استدل المعتزلة على خلق القرآن بقوله تعالى: <<ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث>>[5]، فقالوا: والذكر هو القرآن، بدليل قوله: <<إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون>>[6]، فقد وصفه بأنه محدث، ووصفه بأنه منزل، و المنزل لا يكون إلا محدثا[7]

لم يدخر المعتزلة جهدا في ترسيخ وتأكيد فكرة خلق القرآن فعلى غرار الإستدلال بالقرآن الكريم، أتى المعتزلة أيضا بما ورد عن الرسول صلى الله عليه و سلم كقوله "و تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غياياتان أو فرقان من طير صواف"[8]،وهذا كله يدل على أن القرآن مخلوق.

2. الأدلة العقلية

فجر المعتزلة كما هائلا من التناقضات العقلية حاولوا من خلالها إثبات أن القرآن مخلوق وتفنيد طرح أنه كلام الله الأزلي، ونجحوا في ذلك إلى حد بعيد، فكانت هذه الحجج العقلية التي ذكرها المعتزلة كالآتي:

---

[1] سورة الحديد،آية25

[2] محمد بن أحمد القرطبي أبو عبد الله: الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، ج20، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006، ص269.

[3] سورة يوسف،الآية2

[4] سورة القدر،الآية1

[5] سورة الأنبياء،الآية2

[6] سورة الحجر،آية9

[7] عبد الجبار بن أحمد: شرح الأصول الخمسة،مصدر سابق،1996،ص360

[8] الإمام مسلم: صحيح مسلم،دار الكتب العالمية،بيروت،ط1991،1،رقم:804،ص553

يقول القاضي عبد الجبار في كتابه شرح الأصول الخمسة: "لأن جميع القرآن أو أكثره يتضمن المدح و الذم والوعد والوعيد في الثواب والعقاب، فلو كانت هذه التصرفات من جهة الله تعالى مخلوقة في العباد لكان لا يحسن المدح ولا الذم ولا الثواب ولا العقاب، لأن مدح الغير وذمه على فعل لا يتعلق به لا يحسن... إن الكسب غير معقول وما لا يعقل لا يجوز أن يكون جهة الحاجة"[1]، قد ثبت أن القرآن غير الله تعالى، لأنه يختص بصفات تستحيل على الله، لأنه متجزئ، له ثلث وربع، مدرك و مسموع، محكم مفصل، أمر و نهي، وعد ووعيد، وقد تعبدنا بتلاوته و حفظه، وكل ذلك يستحيل عليه تعالى، وما يصح على القديم سبحانه من كونه قادرا عالما حيا سميعا بصيرا يستحيل عليه، وذلك يوجب كونه مخالفا للقديم عز وجل، فبأن يكون غير إله أولى.

فقال المعتزلة باستحالة أزلية القرآن، فالله أوجده كما أوجد كل شيئ من أرض وشمس وسماء، الله لم يتكلم وإنما خلق الكلام وأحدثه، كما خاطب عز وجل الأنبياء بمعطيات تخص مكانهم وزمانهم فكيف للقرآن أن يتنبأ بما سيحصل إن كان أزليا، فالقرآن مرتبط بأحداث زمنية ومكانية، فقصص الأولين تنفي الأزلية نفيا قاطعا لا لبس فيه، كما أن التأخير والتقديم المتجلي في القرآن الكريم يؤكد طرح المعتزلة القائل بخلق القرآن، كما لا يجب أن نغفل الآيات المستنسخة، فكيف للأزلي أن يحوي آيات مستنسخة.

المطلب الثاني: نفي المعتزلة صفة الكلام عن الذات الإلهية

في طريق المعتزلة لتأكيد خلق القرآن، وجدت هذه الفرقة نفسها مجبرة على تفنيد فكرة أن الله متكلم، وكعادة المعتزلة فقد صالوا وجالوا في التوضيح والتشديد على أن صفة الكلام لا تليق بالذات الإلهية، يقول الإمام فخر الدين الرازي عن مذهب المعتزلة في صفة كلام الله تعالى:"أن الأمة متفقة على إطلاق لفظ المتكلم على الله تعالى. إلا أن هذا الاتفاق ليس إلا في اللفظ. أما المعنى فغير متفق عليه"[2].

فترفض المعتزلة فكرة أن يكون الله متكلم فهذه تعد من صفات التجسيم و بالتالي تكون مساواة بين الله وعبده في صفة الكلام وتفسره المعتزلة على أنه صفة فعلية وليس صفة ذاتية يقولون أن الله إذا أراد أن يتكلم فإنه يقدر أن يخلق كلاما.

بالتالي فإنه تعالى إذا أراد شيئا أو كره شيئا، خلق هذه الأصوات المخصوصة في جسم من الأجسام، لتدل هذه الأصوات على كونه تعالى مريدا لذلك الشيء المعين، أو كارها له، حاكما به بالنفي أو بالإثبات، وهذا هو المراد من كونه تعالى متكلما[3].

---

[1] عبد الجبار بن أحمد: شرح الأصول الخمسة،مصدر سابق،ص360

[2] فخر الدين الرازي: خلق القرآن بين المعتزلة و أهل السنة،دار الجيل بيروت،ط1، 1992،ص9

[3] المرجع نفسه، ص58

كما نفوا على الله صفة الكلام، فالمعتزلة لا يثبتون لله كلاما بحرف أو بصوت، وإنما يثبتون له القدرة على الكلام في أي وقت كما يثبتون له الإرادة في أي وقت، و يمنعون عنه الحرف والصوت، لئلا يثبتوا لله جسما، متكلما من مكان ما، وهم قد نفوا الجسمية من قوله تعالى<<ليس كمثله شيء>>[1] ونفوا المكان من قوله تعالى: <<و هو معكم أينما كنتم>>[2]، وعلى هذا يقولون: إن الله دائم القدرة على الكلام، وهو ينشئه في حينه إنشاء[3].

المطلب الثالث: مذهب المعتزلة في القرآن

لقد التزم المعتزلة حدوث كل موصوف بصفة، حيث زعموا أن الصفات هي الأعراض، والأعراض لا تقوم إلا بجسم[4]، فنفوا الصفات عن الله، فانتفى الكلام عنه و بالتالي فإن القرآن أقرب لأن يكون مخلوقا منه أن يكون كلاما لله.

حسب المعتزلة لا خلاف بين أهل العدل في أن القرآن مخلوق محدث مفعول لم يكن ثم كان و أله غير الله عز وجل و أنه أحدثه بحسب مصالح العباد، وهو قادر على أمثاله وأنه يوصف بأنه مخبر به وقائل وأمر وناه من حيث فعله وكلهم يقول: أنه عز وجل متكلم، "وبالجملة فقد صاروا ينفون ما ينفونه من صفات الله تعالى، لأن إثبات ذلك يقتضي أن يكون الموصوف جسما، وذلك ممتنع، لأن الدليل على إثبات ذلك يقتضي أن يكون الموصوف جسما، وذلك ممتنع، لأن الدليل على إثبات الصانع إنما هو حدوث الأجسام، فلو كان جسما لبطل دليل إثبات الصانع"[5]، فلا يمكن وصف غير المجسم، و الله غير مجسم، فبالتالي لا يمكن وصفه.

كان طرح المعتزلة يقول بأن القرآن تكلم عن الله بلسان بني آدم. فنسب اليه أن الله يتكلم كما يتكلم بنو آدم، وليس من مشابهة حاصلة بين الله و بين خلقه، حتى نثبت لله كلاما بحرف وصوت ككلام البشر[6]، فتنزيه المعتزلة لله عن كل الشوائب جعلهم ينفون عنه صفة الكلام البشرية فبالتالي، فلا يعقل أن تتفوه الذات الإلهية بما يتفوه به البشر من أصوات أطلق عليها إسم كلام.

المطلب الرابع: آراء الخصوم في مسألة خلق القرآن

يرى الإمام اللائكي أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن من قال بخلقه فهو كافر[7]، ويجتمع أهل الحديث وأئمة السنة بأن القائل بخلق القرآن كافر، وأصل مقالة الجهمية القائلين بنفي الصفات، وخلق القرآن كفر، ثم كفروا المعتزلة، والجهمية، و عادوهم في الله،

---

[1] سورة الشورى،الآية11

[2] سورة الحديد،الآية4

[3] مرجع نفسه،ص10

[4] إبن تيمية: درء تعارض العقل و النقل،ج1،دارنشر جامعة محمد بن سعود،ط2،ص306

[5] المرجع نفسه، ص306

[6] فخر الدين الرازي: خلق القرآن بين المعتزلة و أهل السنة،مرجع سابق،ص11

[7] هبة الله اللائكي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة و الجماعة،دار البصيرة،الاسكندرية،ص312

وأبغضوهم، وتواصوا على هجرهم، ورفضوا الخوض معهم في بدعتهم، أو مجادلتهم، واتفقوا على مقتهم، و كبتهم، و إذلالهم، وإبعادهم، وعدم صحبتهم، أو سماع كلامهم، أو مبادرتهم بالقول في شيء من بدعهم، وأجمعوا على أنه لا ينبغي توقير أهل البدع، أو احترامهم، بل اعتبروا هجرهم، ومجانبتهم قربة لله تعالى[1].

يستدل خصوم المعتزلة بالآية الكريمة، قال الله تعالى <<الرحمان،علم القرآن،خلق الإنسان>>[2]، فالقرآن عِلمه، والإنسان خلقه، فعلم الله تعالى غير مخلوق فلو كان كلام الله مخلوقا لم يكن فضل ما بينه وبين سائر الكلام كفضل الله على خلقه، وليس شيء من المخلوقين من التفاوت في فصل ما بينهما كما بين الله و بين خلقه[3].

ذكر أيضا في كتاب عقيدة السلف وأصحاب الحديث على لسان الطبري أنه قال: القول بأن القرآن كلام الله سبحانه، ووحيه وتنزيله وأمره و نهيه غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر بالله العظيم، وأن القرآن في صدورنا محفوظ، بألسنتنا مقروء، في مصاحفنا مكتوب وهو الكلام الذي تكلم الله عز و جل به، ومن قال: إن القرآن بلفظي مخلوق أو لفظي به مخلوق فهو جاهل ضال كافر بالله العظيم[4]

على غرار المعتزلة، تبين لنا بأن الخصوم أيضا، استدلوا بالحجج النقلية لإثبات وجهة نظرهم وتفنيد فكرة خلق القرآن، فالمعتزلة لم يجدوا الطريق معبدا بالورود يوما، بل كانوا يرتطمون غالبا بالمعارضة الشرسة لكل أفكارهم العقدية ومعتقداتهم الفكرية.

---

[1] أبي عثمان الصابوني: عقيدةالسلف و أصحاب الحديث،دار الكتب المصرية،ص28

[2] سورة الرحمان،من الآية1إلى3

[3] عثمان بن سعيد الدارمي: الرد على الجهمية،الدار السلفية،الكويت،ط1985،1،ص162

[4] أبي عثمان الصابوني: عقيدةالسلف و أصحاب الحديث،مرجع سابق،ص30

- **الفصل الثاني: بوادر الفكر السياسي عند المعتزلة**
  - **المبحث الأول: الفكر السياسي عند المعتزلة**
    - **التنظيم السياسي لفرقة المعتزلة**
    - **نفي المعتزلة صفة الكلام عن الذات الإلهية**
    - **مذهب المعتزلة في القرآن**
    - **آراء الخصوم في مسألة خلق القرآن**
  - **المبحث الثاني: المعتزلة في عهد المأمون**
    - **المعتزلة ما قبل المأمون**
    - **المعتزلة في عهد الخليفة المأمون**
    - **المعتزلة ما بعد المأمون**
  - **المبحث الثالث: اضمحلال المعتزلة**
    - **المعتزلة في عهد المتوكل**
    - **القضاء على المعتزلة**
    - **أخطاء المعتزلة التي أدت إلى سقوطهم**
  - **المبحث الرابع: تأثيرات الفكر الإعتزالي**
    - **المعتزلة والشيعة**
    - **معتزلة العصر المعاصر**

تمهيد:

لقد عاش المعتزلة أزهى عصورهم في العصر العباسي فكانت السلطة العباسية وخاصة في عهد الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق، فصالوا وجالوا في بلاطات قصور الحكم، وأحكموا السيطرة على مقاليد الحكم، وفرضوا أفكارهم، فوجدوا الأرضية المناسبة لنشر معتقداتهم وتجديرها في المجتمع، فما ملابسات سيطرة المعتزلة على الحكم؟ وكيف استطاعوا إقناع الخلفاء بأفكارهم التي كانت تعتبر شاذة حينها؟ وما تجلياتهم في السلطة؟

المبحث الأول: الفكر السياسي عند المعتزلة

لقد تبلور الفكر السياسي عند المعتزلة انطلاقا من المعضلات السياسية التي اعترضت طريق الخلافة الراشدة فتجلت مواقفهم الواضحة، لتثبت أنهم اهتموا بالمسائل السياسية هي الأخرى كما اهتموا بنظيراتها الكلامية و العقائدية و الفلسفية حتى، فكان المعتزلة كيانا متكاملا اهتم بكل القضايا والمسائل التي اعترضت واقع الفرد و المجتمع، و درسوها من منطلق فكري و ديني مستقل عن أي تأثيرات خارجة عن مبادئهم الخمسة وفكرهم الفلسفي ومبادئهم العقائدية، فكيف نظم المعتزلة نفسهم سياسيا؟ وما كان فعلهم إزاء الأوضاع المستجدة ؟

المطلب الأول:التنظيم السياسي لفرقة المعتزلة:

ارتأى المعتزلة تنظيم فكرهم السياسي في سبيل تدعيم أفكارهم، فنجد في اجتماعهم على الأصول الفكرية الخمسة، مع تعدد القسمات و المواقف فيما يتصل بالفروع والتفاصيل، في الوقت الذي تعددت فيه مجتمعاتهم و انتشرت حلقاتهم بتعدد حواضر الدولة و امتداد أقاليمها، نجد في ذلك مظهرا من مظاهر اهتمامهم بالتنظيم الخاص بهم، وإن يكن أمر هذا التنظيم لا يزال محاطا بالغيوم حتى الآن في كل ما كتب عنهم من دراسات، ولعل في القصيدة التي مدح بها صفوان الأنصاري واصل بن عطاء ما يلقي بعض الضوء على هذا الموضوع، و هي القصيدة التي يقول فيها عن واصل و صحبه:

له خلف شعب الصين في كل ثغرة ××× إلى سوسها الأقصى و خلف البرابر

رجال دعاة لا يفل عزيمهم ××× تهكم جبار ولا كيد ماكر

إذا قال: مروا، في الشتاء تطوعوا ××× و إن كان صيف لم يخف شهر ناجر

بهجرة أوطان و بذل و كلفة ××× و شدة أخطار و كسد المسافر

فأنجح مسعاهم و أثقب زندهم ××× و أورى بفلج للمخاصم قاهر

وأوتاد أرض الله في كل بلدة ××× و موضع فتياها وعلم التشاجر

و ماكان سحبان يشق غبارهم ××× و لا الشدق من حيي هلال بن عامر

و لا الناطق النخار و الشيخ دعفل ××× إذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر

و لا القالة الأعلون رهط مكحل ××× إذا نطقوا في الصلح بين العشائر

بجمع من الجفين راض و ساخط ××× و قد زحفت بداؤهم للمحاضر[1]

بواسطة هذا التنظيم خاض المعتزلة صراعا ضد كثير من الأديان والنحل التي كانت تستهدف غايات سياسية ضد الدولة العربية من وراء حربها للإسلام[2]، فقد استعمل المعتزلة براعتهم في الجدال وعلو كعبهم في المناظرات، استعملوا ذلك في رد كيد أعداء الإسلام في نحورهم، وبذلك كانت براعتهم في علم الكلام والفلسفة، أنجع أسلحتهم في الحفاظ على زخمهم، و الحفاظ على السلطة التي كانت تحت أيديهم.

المطلب الثاني:توجهات المعتزلة السياسية:

لطالما اعتمد المعتزلة عند التعبير عن مواقفهم في شتى المسائل السياسية على مراعاة أصولهم، ما جعلهم غالبا يتفقون على كلمة واحدة توحد صفهم و تلم شملهم، و لكن ذلك الإجماع لم يكن دائما، فقد اختلفت فرق المعتزلة في جوهر عدة قضايا سياسية جعلت منهم أبعد ما يكون للحزب السياسي الواضح المعالم، و نذكر أدناه بعض الإشكاليات السياسية التي اعترضت المعتزلة ب شتى فرقها وأرائهم حولها و وجهات نظرهم فيها:

أولا:أحداث السقيفة

أقرّ المعتزلة بخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه و أجمعوا على صحتها و شرعوها لأنه اختير من قبل الحاضرين كما أنه كان الأصلح في ذلك الوقت، فاختير و هو أقلهم عشيرة، و أفقرهم، وبالتالي فقد اختير لدينه وكفاءته[3]، فحتى لو لم يكن أبو بكر الأكفأ بين الجميع، فإن ذلك لا يقدح في شرعيته، لأنه "جائز أن يكون في رعية الإمام من هو أفضل منه، و جوزوا أن يكون الإمام مفضولا كما يكون الأمير مفضولا، في رعيته من هو خير منه"[4]، فأقر المعتزلة هنا بمبدأ الشورى ورأي الأغلبية، وذلك راجع ربما لفكرهم الذي يعتمد في الأساس على مبدأ حرية الفكر والرأي.

---

[1] محمد عمارة: المعتزلة و مشكلة الحرية الإنسانية،دار الشروق،القاهرة،ط1988،2،ص149

[2] المرجع نسه،ص150

[3] ابي محمد الحسن بن موسى النوبختي: فرق الشيعة،مطبعة الدولة،اسطنبول،1931،ص11

[4] أبي الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين و إختلاف المصلين ج2،مرجع سابق، ص134

ثانيا: هل مات عثمان بن عفان ظالما أم مظلوما؟

اختلف المعتزلة في الموقف من مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه فتجلى ذلك من خلال قول العلاف الذي صرح بالقول: " لا ندري اقتل عثمان ظالما أو مظلوما[1] "، فقد كان الشائع حينها أن إدانة عثمان تعتبر أمرا خارجيا أو شيعيا، فالسنة اتفقوا على تبرئته، و لذلك اختار العلاف الحياد كتعبير على عدم الانحياز.

ثالثا:إمامة علي بن أبي طالب

كما اختلف المعتزلة أيضا على إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فجرد الأصم عليا من صفة الإمامة نظرا لعدم اجتماع المسلمين عليه فيقول الأصم: " كان أبو بكر إماما، ثم عمر، ثم عثمان، وإن عليا لم يكن إماما، لأنه لم يجتمع عليه، وإن معاوية كان إماما بعد علي، لأن المسلمين اجتمعوا على إمامته في ذلك الوقت"[2]،ووافق المعتزلة البصريون كالنظام والجاحظ وغيرهم أيدوا الأصم و فضلوا ابا بكر على علي، ولكن عمروا بن عبيد وواصل بن عطاء وضرار بن عمر عارضو رأي الأصم فقالو إن عليا كان أولى بالحق من غيره[3]، كما فضل البغداديون عليا على سائر الصحابة[4].

رابعا:الفتنة بين علي و عائشة

أما في الخلاف المعروف بالفتنة الكبرى التي وقعت بين علي من جهة و خصومه المتمثلين في السيدة عائشة والصحابة طلحة والزبير ومعاوية بن أبي سفيان من جهة أخرى، فقد اختلف المعتزلة، وتفرقت أحكامهم فهناك من خطأ الطرفين المتنازعين على غرار الأصم الذي قال: "إن عليا وطلحة والزبير، لم يكونوا مصيبين في حربهم، وإن المصيبين هم الذين قعدوا عنهم"[5].

في حين كانت مواقف النظام والمريسي والاسكافي، مواقف موافقة لما قام به علي بن أبي طالب فصوبوا قراره في حرب الجمل وحرب صفين وأقروا بخطأ من قاتل عليا في هاتين الموقعتين، فاتهموا معاوية بالغلط ووصفوه باللباغي و المسيئ والمخزى فرددوا الأحاديث المدينة له من قبيل "إذا رأيتم معاوية على المنبر فاقتلوه"[6]، قال النظام: "إن عليا

---

[1] أبي الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين و إختلاف المصلين ، المرجع السابق، ص128

[2] المرجع نفسه، ص 129

[3] ابي محمد الحسن بن موسى النوبختي، فرق الشيعة،مرجع سابق،ص12

[4] الشهرستاني: الملل و النحل، مرجع سابق، ص57

[5] ابي محمد الحسن بن موسى النوبختي، فرق الشيعة،مرجع سابق،ص14

[6] أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد أو مدينة السلام،ج12،دار الكتب العالمية،بيروت،ص181

عليه السلام كان مصيبا في حربه طلحة والزبير وغيرهما، وإن جميع من قاتل عليا وحاربه كان على خطأ، وجب على الناس محاربتهم مع علي عليه السلام"[1].

لقد كانت الغالبية الغالبة من المعتزلة محايدة متجنبة البث في القضية و هو ما تجلى في قول ضرار بن عمرو: "لست أدري أيهم أهدى أعلى أم طلحة و الزبير؟" و يردف واصل بن عطاء: "ومن خالفه مثل المتلاعنين لا يدرى من الصادق منها، ومن الكاذب"، لكنهم "أجمعوا جميعا على أن يتولوا القوم في الجملة، وأن إحدى الفرقتين ضالة لا شك من أهل النار، وأن عليا، وطلحة، و الزبير، إن شهدوا، بعد اقتتالهم، على درهم، لم يجيزوا شهاداتهم"[2]، ويذهب عمروبن عبيد إلى عدم إثبات العدالة للمختلفين منهم: علي، و عثمان، وطلحة، والزبير. قال: "والله لو شهد عندي علي، وعثمان، وطلحة، والزبير، على شراك نعل، ما أجزته"[3].

يتضح بعد ذلك أن المعتزلة قد درسوا المسائل السياسية دراسة نقدية، بعيدة كل البعد عن ما يعرف بالمحرمات والخطوط الحمراء، فوضعوا الصحابة في خلافاتهم السياسية كسائر البشر وحاولوا الحكم على مواقفهم بالعدل فصوبوا من اعتقدوا صوابهم ووسموا بالخطأ من ظنوا غلطه، مستنجدين في ذلك بالعقل ولا شيء غير ذلك.

المطلب الثالث:المعتزلة بين الأصول والسياسة

أولا: العدل والسياسة

لطالما تغنى الإسلام والمسلمون بالعدل فحث عليه القرآن و السنة حتى أن الله سبحانه و تعالى حرم الظلم على نفسه، و هو ما لم يحد عنه المعتزلة فجعلوا العدل أصلا من أصولهم الخمسة، وأخذوه كمبدأ في جل معاملاتهم وعلى رأسها القضايا السياسية.

لقد حث المعتزلة جمع المسلمين على نقد الجور في السلطة بكل الطرق الممكنة من كلمة وخروج عنها وحتى حمل السلاح لاقتلاع السلطان الجائر وتعيين الحاكم العادل بقوة الجماعة أو السلاح، و لم يجد المعتزلة الطريق أمامهم مفروشا بالورود بل وجدوا المرجئة الذين دعوا لارجاء الحكم في هذه القضايا ليوم القيامة فيقول الشاعر ثابت قطنة في ذلك:

يا هند، فاستمعي لي، إن سيرتنا

أن نعبد الله لم نشرك به أحدا

نرجي الأمورإذا كانت مشبهة

---

[1] ابي محمد الحسن بن موسى النوبختي: فرق الشيعة،مرجع سابق،ص12

[2] المرجع نفسه، ص11

[3] أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد أو مدينة السلام،ج12،مرجع سابق،ص178

و نصدق القول فمن جار أو عندا

المسلمون على الإسلام كلهم

و المشركون استووا في دينه قدادا[1]

وهو ما جعل الخليفة المأمون الذي كان معتزليا يدرك أن موقف الارجاء و المرجئة في صالح الملوك و الجبارين، فقال كلمته الشهيرة: "الإرجاء دين الملوك"... وإن كان البعض قد أخطأ فظن أن المأمون كان يمدح الإرجاء لأنه مذهب التسامح[2].

لقد دعا المعتزلة السلطة الأموية للعدل فنقدوا معاوية بن ابي سفيان الذي دعا وروج لفكرة انتقال الخلافة له على أنها قضاء الله و قدره وجب التسليم بها و حرم الخروج عنها أو إنكارها [3]، فاعتبر المعتزلة ذلك جورا و بهتانا و دعوا لدحض قوله و تصحيح فكره.

على غرار الأمويين نقد المعتزلة العباسيين رغم العلاقة الجيدة التي كانت بينهما، فالأمر عند المعتزلة أمر قيم، فتأييد المعتزلة للدولة العباسية لم يكن حاجزا للاختلاف مع كثير من خلفائها ووسمهم بالظلم، وظهر ذلك جليا من خلال سجن الخليفة العباسي هارون الرشيد للمفكر المعتزلي بشر بن المعتمر، فقد رأى المعتزلة أن العباسيين استبدوا بالسلطة للفرع العباسي من آل البيت دون العلوي، وهو ما يستلزم التنويه و محاولة التغيير حسب المعتزلة، ما جعلهم ينخرطون في الثورة المسلحة على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور[4].

ثانيا: الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر والسياسة

من خلال نقاشات المعتزلة في قضية الأمر والمعروف اتفقوا على أن ذلك واجب كفائي، مكلف به العلماء وأهل الصفوة فيسقط عن بقية الناس، ولكن تركه يؤثم الجميع.

يطنب القاضي عبد الجبار القول باستفاضة في هذا الموضوع فيصرح:" فيسألنا السائل عن الأمر بالمعروف، ما حاله في قضية الوجوب؟؟.. و جملة القول في ذلك: أن الواجب وإن كان معدودا في الفروض على الكفايات، فالجواب عنه في أي باب سئل عنه أنه على الكفاية مطلقا لا يصح، لأنه قد يصح أن يتعين كما يصح ألا يتعين، وإنما يحتاج أن نفرق بين البابين بأن نقول: إن ما يعد في الأعيان فليس الغرض حصوله فقط من واحد ما من الناس، والذي يعد في الكفاية شأنه هذا الشأن، ومن ذلك الأمر بالمعروف، لأن الغرض هو

---

[1] محمد عمارة: المعتزلة و مشكلة الحرية الإنسانية،مرجع سابق،ص156

[2] المرجع نفسه، ص156

[3] محمد عمارة: المعتزلة و مشكلة الحرية الإنسانية، مرجع سابق،ص151

[4] المرجع نفسه، ص157

الوقوع ذلك المعروف وألا يقع المنكر، فإن اتفق من بعضهم الأمر به فقد سقط وجوبه عن الباقين، ومتى غلب في ظن كل واحد إن لم يقم هو به لم يقم غيره به تعين على جماعتهم".[1]

إن حرص المعتزلة على وجوب النهي عن المنكر، قد جعلهم يُعدّونه واجبا كفائيا غالبا ولكنه يصبح عينيا على الجميع اذا وجد شك ولو ضئيل على عدم وقوعه من الغير، ولم يكتفي المعتزلة في ذلك بهذا القدر بل تعمقوا في التفاصيل و نظموا نقد السلطة، فوضحوا الوسائل التي يجب استعماله لذلك، ففتحوا الباب واسعا على الخروج عن الحاكم الذي لا يصغي لمطالب الناس التي تحثه على المعروف و تنهاه عن المنكر، فيصف المعتزلة هذا الحاكم بالجائر ويبيحون، الخروج عنه والثورة عليه، فحسب المعتزلة دائما، على الناس حمل السلاح والقتل والقتال في سبيل نهي الحاكم الجائر عن المنكر، فبلغوا بذلك أرقى وأعلى درجات الحرية السياسية عند الإنسان.

يستدل المعتزلة في ذلك على عدة حجج نقلية، قال الله تعالى <<فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله>>[2]، فيقول القاضي عبد الجبار في ذلك "وعلى نحو ذلك أمر الله بقتال المشركين أمرا عاما لسائر المكلفين، فلا وجه لقصره على الإمام دون غيره، وإن كنا قد جعلنا للإمام حظ التقدم"[3].

لم يكتفي المعتزلة بالتنظير حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنما مارسوا ذلك على الحكام حتى أنهم انتقدوا حتى من كانوا يحسبون عليهم أمثال المعتزلي مشير أمير المؤمنيين أحمد بن أبي داوود الذي نجح في جعل الاعتزال مذهبا رسميا للدولة، ولكنه رغم ذّلك لم ينج من نقد بعض قادة المعتزلة، فقد ألح على جعفر بن مبشر الثقفي في تولي بعض المناصب السياسية، فرفض ورجاه أن يقبل عشرة آلاف درهم، عطاء منه، فأبى، وعندما ذهب بنفسه إلى جعفر واستأذن في الدخول عليه، أبى يأذن له[4].

لم تمنع العلاقة الفكرية التي تربط ابن أبي داوود هذا بحميد البغدادي من أن يوجه البغدادي لاذع النقد و شديد الهجوم إلى ابن أبي داوود، وأن يهجوه بشعر يقول فيه:

لقد أصبحت تنسب في اياد

بأن يكني أبوك أبادؤاد

فلو كان اسمه عمرو بن معدي

دعيت إلى زبيد أو مراد

---

[1] محمد عمارة: المعتزلة و مشكلة الحرية الإنسانية، ص158

[2] سورة الحجرات،آية9

[3] محمد عمارة: المعتزلة و مشكلة الحرية الإنسانية، مرجع سابق،ص159

[4] ألبير نصري نادر: فلسفة المعتزلة،ج1،دار النشر الثقافة،الإسكندرية،1991،ص30

لئن أفسدت بالتخويف عيشي

لما أصلحت عيشك في اياد

وان تلك قد أصبت طريف مال

فبخلك باليسير من التلاد[1]

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بمستوياتهما المختلفة، موعظة ونقدا أو ثورة، كانا مبنيين، في الجملة، على القيم والمبادئ والأفكار، لا على العصبيات القبلية الجنسية أو المذهبية، أو على الأقل كان ذلك هو الأمر الغالب عند المعتزلة أهل العدل و التوحيد.

ثالثا: المنزلة بين المنزلتين والسياسة

اهتم المعتزلة في باب المنزلة بين المنزلتين سياسيا على الموقف من مرتكب الكبيرة من الولاة و الأمراء الأمويين، وكيفية التعامل مع ذلك، والأحكام المخرجة والمناسبة لهم، وكان ذلك انطلاقا من عدة عوامل لعل أهمها الثورات التي قام بها الخوارج، والتي كانت السبب في إثارة الجدل حول المواقف من ولاة بني أمية مرتكبي الكبائر، فالقضية نشأت سياسيا.

والخياط يصور نشأة الخلاف حول هذه المشكلة فيقول إن إجماع الخوارج وأصحاب الحسن البصري، والمرجئة، والمعتزلة قد انعقد على تسمية مرتكب الكبيرة باسم الفاسق، ثم اختلفوا فيما بعد ذلك، فانفردت الخوارج بتسميته كافرا، وأصحاب الحسن بتسميته منافقا، والمرجئة بتسميته مؤمنا، وحيث إن أوصاف الكافر والمنافق والمؤمن الواردة في القرآن، والمعروفة في السنة لا تنطبق على مرتكب الكبيرة، لذلك كان أصح الأقوال هو قول المعتزلة الذين سموه فاسقا فقط، تبعا لما أجمع عليه الكل في تسميته، ثم حكموا عليه بالمنزلة بين المنزلتين لمفارقة أوصافه أوصاف المؤمنين و الكافرين و المنافقين [2].

لقد حث المعتزلة على عزل الحاكم مرتكب الكبيرة ووجوب الخروج عليه، فحسب المعتزلة دائما يعتبر الامام مرتكب الكبيرة فاسقا مصيره العذاب في الآخرة حال موته دون توبة نصوح، كما اعتبر المعتزلة أن الإمام الظاهر فسقه استوجب عزله، ومثلوا الفسق على أنه كفر أو جنون أو زوال معرفة.

---

[1] ألبير نصري نادر: فلسفة المعتزلة ، ص69

[2] أبي الحسن الخياط،الانتصار،المصدر السابق، ص167

المبحث الثاني: المعتزلة في عهد المأمون

يعتبر عصر المأمون بمثابة العصر الذهبي للمعتزلة فقد بلغت الفرقة من البروزو السلطة ما لم تبلغه قبلا ولا بعدا، فبعد السنوات العجاف في العصر الأموي أولا ن ثم بدايات العصر العباسي، تلك السنوات التي إكتفى فيها المعتزلة بمباركة و مساندة الثورات التي تقوم اتجاه السلطة القائمة، أتى الفرج أخيرا و من القدر على المعتزلة بخليفة دعمهم و دعم أفكارهم و مفكريهم، حتى أنه إعتزل و حسن اعتزاله، فكان الحلقة التي طالما نقصت سلسلة المعتزلة.

المطلب الأول: المعتزلة ما قبل المأمون

أولا: مع الأمويين

تميزت علاقة المعتزلة مع السلطات السياسية قبل المأمون بالاضطراب الكلي، والثورات المتتالية، لعل أبرزها الدخول في تحالف مع الخليفة الأموي يزيد بن وليد للانقلاب على ابن عمه الوليد بن يزيد الذي كان يعرف بالخليفة الماجن، فشارك المعتزلة في الثورة حتى تم النصر وتولى يزيد الحكم وأعلن الشورى وأقر حق المسلمين بعزل الخليفة الذي لا يحكم بالعدل.

لقد أعلن المعتزلة عدائهم التام والعام للأمويين و ذلك راجع في نظرهم بأن بني أمية جبارون مغتصبون للخلافة فارضون لها بحد السيف مبررين حكومتهم بفلسفة الجبر، في حين نادى المعتزلة بالاختيار[1]،فرأى المعتزلة أن ملك بني أمية كان ملكا هرقليا وسلوكهم المشين وأعمالهم المجافية للشريعة تجعلهم لا يستحقون الخلافة[2]، أما وقد اغتصب بنو أمية الخلافة، فقد وجب على الجماعة الإسلامية النضال وفقا لمبدأ الأمر والمعروف والنهي عن المنكر، و هو مبدأ أخذت به معظم فرق المعارضة، فسل السيف واجب لدفع المنكر واقرار الحق[3]، فلطالما حث المعتزلة على الخروج عن الحاكم الظالم فخالفوا في ذلك مذهب أهل السنة القائل بحرمة الخروج عن الحاكم المسلم.

رغم أن الموقف بين المعتزلة وبني أمية وحتى العباسيين الأوائل تميز بالتضاد والمعارضة السياسية والمسلحة أحيانا، إلا أن هذا لا ينفي ميل المعتزلة في عديد المواقف إلى احتواء الخلافة و ترشيدها وهو ما تجلى من خلال استمالة قلب وعقل الخليفة الأموي يزيد بن الوليد، الذي قال بالقدر و دعا الناس له [4]، فقد عارض المعتزلة السلطة السياسية

---

[1] محمود إسماعيل، الحركات السرية في الإسلام،مؤسسة الأنتشار العربي، بيروت،ط5،1998،ص103

[2] المرجع نفسه،ص104

[3] المرجع نفسه،ص105

[4] المرجع نفسه،ص106

للعباسيين ولكنهم و بعد لمح التجاوب من الخليفة المأمون فقد قرروا إحتوائهم و تعريفه بمذهبهم علّه يؤمن به و يكافح في سبيل نشره كما يفعلون.

كذلك نجح المعتزلة في احتواء آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد فدان بمذهبهم و حاول الاصلاح جاهذا لكن المشكلات التي واجهته كانت أكبر من أن تقاوم، فكانت نهاية لبني أمية سنة 132ه، وهكذا راهن المعتزلة على جوادين خاسرين أولهما مات بعد توليه الخلافة بشهور و الثاني أسقطته الثورة العباسية، واتبع المعتزلة السياسة نفسها ازاء بني العباس، اسداء النصح و المشورة والاحتواء [1].

ثانيا: مع العباسيين قبل المأمون

لم يرحب المعتزلة بخلافة بني العباس رغم تحيزها للموالي، وهذا يدل على انتفاء أي أثر للشعوبية العرقية في موقف المعتزلة السياسي فرغم محاولة العباسيين في البداية، استغلال التقارب مع المعارضين السابقين للسياسة الأموية، مثل المعتزلة و الشيعة، إلا أن المعتزلة ورغم عدم اشهار السيف أمرا بالمعروف و نهيا على المنكر، إلا أنهم اكتفوا بإسداء النصح والموعظة الحسنة[2]، و أبوا تولي المناصب والتعاون مع الخليفة المنصور حين طلب ذلك من شيوخهم، فحينما طلب المنصور من عمرو بن عبيد أن يعينه بأصحابه، رفض عمرو، وقال ناقدا: " أظهر الحق يتبعك أهله "[3]، و نقده أيضا واصل بن عطاء قائلا:

حتى متى لا نرى عدلا نسر به

ولا نرى لدعاة الحق أعوانا

مستمسكين بحق قائلين به

إذا تلون أهل الجور ألوانا

يا للرجال لداء لا دواء له

وقائد هو أعمى قاد عميانا[4]

وقد تابع هذا النقد فعلاً، وهو ما رأينا من خروج المعتزلة على المنصور الذي بطش بالزيدية و المعتزلة، فاتحد المعتزلة مع العلويين محمد النفس الزكية وأخوه إبراهيم،و اعترف عمرو بن عبيد في حضرة المنصور بتعاطفه مع الثوار[5]، و كان اتحاد المعتزلة مع

---

[1] محمود إسماعيل: الحركات السرية في الإسلام،مرجع سابق،ص107

[2] مرجع نفسه،ص111

[3] القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، دار الفارابي، بيروت، ط1،2018،ص 247

[4] محمد عمارة، المعتزلة و الثورة،دار الهلال،ص127

[5] محمود إسماعيل: الحركات السرية في الإسلام،مؤسسة الأنتشار العربي، مرجع سابق،ص112

العلويين راجعا للتشابه الكبير بين معتقداتهم وكما سنذكر لاحقا فإن المعتزلة قد تأثروا بالشيعة و أثروا فيهم.

استمر المعتزلة في موقفهم العدائي للخلافة إبان حكم المهدي الذي إضطهد كل ما خالف أهل السنة[1]، ولم تختلف الأمور كثيرا في عهد الرشيد، فهذا الأخير منع الجدال في الدين وحبس أهل الكلام، من أمثال ثمامة بن الاشرس[2]، فكان بديهيا أن يهرب المعتزلة من العراق في عصره وعصر ابنه الأمين خوفا من بطشهما.

المطلب الثاني: المعتزلة في عهد الخليفة المأمون

أولا: المأمون والمعتزلة

استحوذ المعتزلة على الخلافة في عصر المأمون الذي اعتزل هو الآخر وإستشرس في الدفاع عن الاعتزال، حتى أنه أعلنه مذهبا للدولة، وقرب شيوخ المعتزلة لبلاطه، وولاهم أعلى المناصب السياسية والاستشارية في الدولة، فازداد عددهم، و هيمنوا على ناصية الحكم و الإدارة، و كان أشهر رجالاتهم أحمد بن أبي داوود الذي وزر المأمون و المعتصم و الواثق، وفي عهودهم كان القول بخلق القرآن و امتحان العلماء والفقهاء و اضطهاد من قال بقدمه من أهل الحديث وخاصة الإمام أحمد بن حنبل[3]، فقد نجح المعتزلة في السيطرة على المأمون عن طريق معلمه المعتزلي، كما دسوا له أحمد بن أبي داوود الذي صار وزيرا في حكومته، فصال وجال في قصره، وكرس أفكار المعتزلة فأقنع بها الخليفة، وفرض القول بها على النخب والرعية.

وعرف عن المأمون أنه كان تلميذا لكبير من كبراء المعتزلة يحيى بن المبارك، كما أنه كان نهما للعلم و الفلسفة، محبا للمناقشة و الجدال، ولما كان المعتزلة في وقته طلاب العلم والفلسفة، وأقطاب الأدب، وأرباب الجدال، فإنه قربهم وارتاح إلى أحاديثهم، واستطاب مجالسهم، فأدى به ذلك إلى الإيمان بمبادئهم والدخول في مذهبهم، ومن الأدلة على محبته للمناظرة ما يرويه "أنه كان يجلس لها يوم الثلاثاء فإذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات دخلوا حجرة مفروشة وقيل لهم انزعوا أخفافكم، ثم أحضرت الموائد وقيل لهم أصيبوا من الطعام والشراب، وجددوا الوضوء، ومن خفه ضيق فلينزعه، ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها، فإذا فرغوا أتوا بالمجامر فبخروا وطيبوا ثم خرجوا فاستدناهم حتى

[1] محمود إسماعيل:الحركات السرية في الإسلام،مرجع سابق،ص112

[2] زهدي حسين جار الله: المعتزلة، الأهلية للنشر و التوزيع بيروت، ص161

[3] محمود إسماعيل: الحركات السرية في الإسلام،مرجع سابق،ص113

يدنون منه ويناظرهم أحسن مناظرة و أنصفها و أبعدها من المتجبرين، فلا يزالون كذلك إلى أن تزول الشمس، ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون و ينصرفون"[1].

ثانيا: حركة الترجمة في عصر المأمون

لم يبادر أحد من الباحثين المسلمين والعرب على ترجمة الكتب الفلسفة اليونانية، نظرا للنظرة النمطية المجتمعية السائدة حينها، في أن كل من يدرس الفلسفة زنديق، "استتمرت الأمور كذلك إلى أن اعتزل المأمون، وأمر بالترجمة من اليونانية إلى العربية"[2]، فكانت حركة الترجمة باب المعتزلة نحو مطالعة الفكر اليوناني، والمصدر الأول لتعلم البرهنة والحجاج حول التوحيد، فورثوا الفلسفة اليونانية وألبسوها لبوسهم الديني[3]، فصبغت أفكار الفلسفة فكر المعتزلة الذين وجدوا فيها الضالة والمراد، فمزجوا وحاولو التوفيق بين الفلسفة و المعتقدات الدينية.

لقد عرف استخدام الفلسفة في تفسير الدين باسم علم الكلام، وعرف الذين استخدموا الفلسفة هذا الاستخدام باسم المتكلمين، فدفع نهم المعتزلة في النهل من كل ما يمت للفلسفة بصلة، في أن يصبحوا متكلمين، يحاولون جاهدين المزج بين الفلسفة والإسلام، فأطلقوا العنان لأفكارهم الفلسفية والتي لا تتعدى على مبادئ الدين حسب رأيهم، واستعملوا الفلسفة التي كانت تعتبر سلاح فتاكا لأعداء الإسلام لمهاجمة مبادئه، فحاربهم المعتزلة بسلاحهم، ألا وهو الفلسفة، فجادلوهم بالحجة والبرهان التي ألجمتا كل من حاول التعدي على الاسلام، و "قد شغف المأمون بالفكر الاغريقي شغفا يشغله حتى في نومه، فكتب إلى ملك الروم يسأله إنفاذ ما من مختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلاد الروم، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فاخرج المأمون لذلك جماعة، فأخدوا مما وجدوا، فلما حملوه اليه أمره بنقله فنقل"[4].

كان تأثر المعتزلة جليا وواضح لا تخطئه عين في عديد المواضع لعل أبرزها نفي الصفات و القول بخلق القرآن، فتجلت الفلسفة و تأثيراتها في عديد من أعلام المعتزلة نذكر منهم النظام الذي بحث الجزء الذي لا يتجزأ و الذرة، و العلاف الذي بحث في حواس الإنسان و إدراكه[5]، حتى أن الجاحظ يقول: " لا يكون المتكلم جامعا لأقطار الكلام متمكنا من الصناعة يصلح للرياسة حتى يكون الذي يحسن في كلام الدين في وزن ما يحسن من كلام الفلسفة و العالم عندنا هو الذي يجمعهما.

---

[1] زهدي حسين جار الله: المعتزلة، مرجع سابق، ص163

[2] القاضي عبد الجبار: المنية و الأمل،دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية،1985،ص111

[3] أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسةو العقائد و تاريخ المذاهب الفقهية،دار الفكر العربي،القاهرة،ج1،ص124

[4] ابن النديم: الفهرست،دار المعرفة،بيروت،ص339

[5] القاضي عبد الجبار: المنية و الأمل،دار مصدر سابق،ص15

ثالثا: المأمون ومعضلة خلق القرآن

لقد وجد المعتزلة في حب الخليفة للعلوم والفلسفة بابا مشرعا، للتقرب من المأمون والإستحواذ على السلطة بالطرق الناعمة، فكان للقاضي أحمد بن أبي داوود الإيادي، التأثير الأكبر على الخليفة المأمون، فحقق المعتزلة عن طريق أحمد جل مآربهم، فاستطاع ابن أبي داوود بلباقته وغزارة علمه وذلاقة لسانه أن يسيطر على المأمون حتى حمله على نشر مقالة خلق القرآن وامتحان الناس فيها، والكتاب مجمعون على أن أبي داوود مسئول عن المحنة، فهو الذي زينها للخليفة، وهو الذي دس له القول بخلق القرآن و حسنه عنده وصيره يعتقد حقا بذلك قال الخطيب البغدادي[1].

اعتقد المأمون بخلق القرآن سنة 212هـ وحمل الناس على ذلك سنة 218هـ، حينها كان قد وصل دمشق وامتحن أهلها في العدل والتوحيد، و كتب في إشخاص الفقهاء من العراق وغيرها، فامتحنهم في خلق القرآن، وأكفر من يمتنع القول بخلق القرآن، وكتب أن لا تقبل شهادته، فقال كل بذلك الا نفرا يسيرا[2].

لقد كان المأمون يعتقد أن رعيته أو الجزء الأكبر منها أهل جهالة، نظرا لعدم قوله بخلق القرآن، فساووا بين الله تبارك وتعالى وبين ما أنزل من قرآن، فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة و رؤوس الضلالة المنقوصين من التوحيد حظا، و المخسوسون من الإيمان نصيبا، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب، ولسان ابليس الناطق في أوليائه، فالأحق أن يتهموا في صدقهم، و تطرح شهادتهم، و لا يوثق بقوله ولا عمله، فإن لا عمل إلا بعد يقين، ولا يقين إلا بعد استكمال حقيقة الإسلام وإخلاص التوحيد[3]، فكان المأمون منتصرا لرأيه معتقدا أن كل من لا يشاركه فيه كافر يستحق القتل، وهو ما تجلى حينما، "أرسل المأمون إلى رئيس شرطته إسحاق بن ابراهيم يأمره فيه بامتحان العلماء والقضاة والفقهاء في مسألة خلق القرآن، فأخذ إسحاق بن إبراهيم عددا من الفقهاء تخللهم إمام المحدثين أحمد بن حنبل، وقرأ عليهم كتاب المأمون، وامتحنهم رجلا رجلا، فأقروا كلهم بأن القرآن كلام الله، فلما فرغ من امتحانهم كتب مقالة كل رجل منهم و وجهها للمأمون، فجاءه الرد بعد مدة، يؤكد فيه المأمون على أن القول بقدم القرآن كفر بواح وشرك مدقع، ويأمر فيه أيضا إسحاق بإعادة امتحانهم، ومن أصر على شركه يحملون إلى الرقة ليمتحنهم أمير المؤمنين، فإن لم يرجعوا حملت رقابهم على السيوف"[4]، فكان ذلك استفرادا بالرأي من المأمون الذي كان محسوبا على المعتزلة حينها.

---

[1] أبي بكر البغدادي: تاريخ بغداد،ج4،دار الكتب العلمية،بيروت،ص142

[2] اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي،ج2،شركة الأعلمي للمطبوعات،بيروت،ط1،2010،ص327

[3] زهدي حسين جار الله: المعتزلة، مرجع سابق، ص166

[4] نفس المرجع، ص170

أحضر إسحاق الفقهاء تلا عليهم كتاب الخليفة فرضخوا و صرحوا بخلق القرآن ما عدا أربعة هم أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح و القواريري وسجادة، ثم رضخ لاحقا القواريري فسجادة وأجابوا بخلق القرآن، في حين أصر أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على رأيهما بأن القرآن كلام الله، فأرسلهما إسحاق إلى طرطوس فوصلا بعد وفاة المأمون، فردا في أقيادهما إلى الرقة، ومنها حملا على سفينة إلى بغداد فمات محمد بن نوح على الطريق، ووصل الإمام ابن حنبل دار السلام فوضع في الحبس[1]، ويظهر هنا أنه وإن كان المعتزلة قد سيطروا على السلطة وأجبروا الناس على أفكارهم، إلا أن هناك خصوم أثروا الموت على القول بما لا يعتقدون، ولعل الإمام أحمد بن حنبل وبغض النظر على أفكاره وما يعتقد لعله أوضح مثال وأبرزه.

المطلب الثالث: المعتزلة ما بعد المأمون

بعد أن ابتسمت الأقدار للمعتزلة في عهد المأمون، وسيطرتهم على كل مقاليد الحكم، والتعبير عن أفكارهم، وافت المنية الخليفة المأمون، فكيف صار حال المعتزلة بعده؟ وهل كان الخليفة المعتصم متعاطفا مع المعتزلة آخّذاً بآرائها؟ أم أنه كان معارضا لما جاءوا به جملة و تفصيلا؟ و ماذا عن الواثق ؟

أولاً: المعتزلة في عصر المعتصم

لقد حاول المعتصم* جاهدا تلبية وصية أخيه، الذي حثه على تقوى الله عز وجل والرفق بالرعية، وأوصاه أن يعتقد ما كان يعتقده أخوه المأمون في القرآن، وأن يدعو الناس إلى ذلك، وأوصاه بأحمد بن أبي داوود، وقال شاوره في أمورك ولا تفارقه[2]، فأسند المعتصم للمعتزلة أرفع المناصب في الدولة، واعتمد عليهم في إدارة شؤون الأمة، فوضع أحمد بن أبي داوود قاضيا للقضاة ولم يفعل فعلا باطنا أو ظاهرا إلا برأيه، فتقوى مركز ابن داوود وعظم نفوذه، والواقع أن تأثير هذا القاضي في المعتصم كان بعيد المدى يفوق كثيرا تأثيره في المأمون، قال بن إسماعيل: "ما رأيت أحدا قط أطوع لأحد من المعتصم لابن أبي داوود"، و بذلك استطاع أن يحمله على تأييد الاعتزال و السير في المحنة[3].

---

[1] أبي الفرج عبد الرحمان الجوزي: مناقب الإمام بن حنبل،مكتبة الخانجي،ط1،ص316

*الخليفة المعتصم (796م-842م)أبو إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور ثامن الخلفاء العباسيين،كان واليا على الشام و مصر، قبل أن يصبح الخليفة،عرفت فترته في الحكم بتقريب المعتزلة له،كان يميل للأتراكولد و توفي بسامراء.(أحمد مختار العبادي،في التاريخ العباسي و الأندلسي،دار النهضة العر بية،بيروت،1971،ص101)

[2] الحافظ ابن كثير: البداية و النهاية،ج10،مكتبة المعارف،بيروت،ط1990،8،ص280

[3] زهدي حسين جار الله: المعتزلة، مرجع سابق، ص171

امتحن في عهد المعتصم عدد غير قليل من العلماء والمحدثين كنعيم بن حماد، الذي أحضر من مصر لهذه الغاية وسئل عن خلق القرآن فامتنع، فحبسوه بسامرا ولم يزل محبوسا حتى مات، غير أن أهم محنة في ذلك العهد كانت محنة الإمام أحمد بن حنبل[1].

قد تعتبر محنة الإمام أحمد بن حنبل أهم ما حدث في عهد المعتصم، فقد نال الإمام أحمد بن حنبل من السجن ما نال، وذاق من التعذيب ما ذاق، فاستنزفته المناظرات التي رتبها له الخليفة المعتصم، لكنه بقي مصرا على موقفه وهذا ما تسبب في استمرار أسره، إلا أنه أصر على رأيه وإستشرس في الدفاع عنه[2].

بعد وفاة المأمون وإيداع الإمام أحمد بن حنبل السجن، وبمدة ليست بالقليلة، قيل أنها بلغت الثمانية والعشرين شهرا[3]، و قيل أنها تجاوزت الاثنان و ثلاثون شهرا، قرر المعتصم أخيرا استدعاء الإمام أحمد بين يديه، وهو ما كان فقامت المناظرة بين الإمام أحمد من جهة وبين ابن أبي داوود وعبد الرحمان بن إسحاق من جهة أخرى، فقال عبد الرحمان للإمام أحمد: ما قولك في القرآن؟، فلم يجب الإمام أحمد، فقال المعتصم: أجبه، فقال أحمد: ما تقول في العلم؟ فسكت، ليردف الإمام أحمد: القرآن من علم الله، و من زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله، فسكت فقالوا فيما بينهم: يا أمير المؤمنين لقد كفرك و كفرنا[4].

في اليوم الثاني جاءوا بابن حنبل إلى مجلس المناظرة وأخدوا يناظرونه و يكلمونه، إلى قرب الزوال، ولما كان اليوم الثالث جاءوا به إلى المجلس، و كان مع الخليفة أحمد بن داوود ومحمد بن عبد الملك الزيات، فقال المعتصم: كلموه، ناظروه. فلم يزالوا معه في جدال إلى أن قالوا: يا أمير المؤمنين اقتله و دمه في أعناقنا. فرفع المعتصم يده و لطم بها وجه الإمام أحمد فخر مغشيا عليه، و لما أفاق أحمد من غشيته، أعاد المعتصم عليه القول فرد ابن حنبل كالأول، ولم يزل كذلك حتى نفد صبر الخليفة، فدعا الجلادين و ضربوه بالسياط ثمانية عشر مرة حتى أغمي عليه[5]، ولكن الإمام أحمد بقي مصرا على رأيه، متمسكا به، لم يحد عنه قدر أنملة، وهو ما جعل الخليفة المعتصم في النهاية يأمر بتخلية سبيله.

خلال تلك المناظرات التاريخية التي احتد الجدال فيها بين المعتزلة و الإمام أحمد بن حنبل، تفانى الطرفان في شرح أفكارهم والدفاع عن معتقداتهم، ذكر منها زهدي حسين جار الله، ثلاثة أمثلة في كتابه **المعتزلة** هي:

---

[1] زهدي حسين جار الله: المعتزلة، المرجع السابق، ص172

[2] الحافظ ابن كثير،البداية و النهاية،ج10،مرجع سابق،ص333

[3] مرجع نفسه،ص332

[4] الحافظ ابن كثير،البداية و النهاية،ج10،مرجع سابق، ص333

[5] زهدي حسين جار الله، المعتزلة، مرجع سابق ص174

المثل الأول:

ابن أبي داوود: أليس لا شيئ إلا قديم أو حديث..؟

ابن حنبل: نعم.

ابن أبي داوود: أو ليس القرآن شيئا..؟

ابن حنبل: نعم.

ابن أبي داوود: أو ليس لا قديم إلا الله..؟

ابن حنبل: نعم.

ابن أبي داوود: فالقرآن إذا حديث..؟

ابن حنبل: ليس أنا متكلم[1].

المثل الثاني:

ابن حنبل: حكم كلام الله تعالى كحكم علمه. فكما لا يجوز أن يكون علمه محدثا و مخلوقا فكذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقا و محدثا.

ابن أبي داوود: أليس قد كان الله يقدر أن يبدل آية مكان آية و ينسخ آية بآية، و أن يذهب بهذا القرآن و يأتى بغيره وكل ذلك في الكتاب مسطور..؟

ابن حنبل: نعم.

ابن أبي داوود: فهل كان يجوز هذا في العلم..؟ و هل كان جائزا أن يبدل علمه و يذهب به و يأتي بغيره..؟

ابن حنبل: لا.

المثل الثالث:

ابن أبي داوود: أتزعم أن الله تعالى رب القرآن..؟

ابن حنبل: لو سمعت أحدا يقول ذلك لقلت.

ابن أبي داوود: أفما سمعت ذلك قط من خالف و لا سائل و لا من قاص و لا في شعر و لا في حديث؟

[1] زهدي حسين جار الله، المعتزلة، المرجع السابق، ص175

ابن حنبل: يسكت ولا يجيب.

ويقول الجاحظ إن المثل الثالث دل الخليفة على كذب الإمام ابن حنبل لأنه لا بد من أن يكون سمع الناس يقولون: ورب القرآن، ورب يس، ورب طه. وأما موقفه في المثليين الأولين فقد أظهر للخليفة أنه معاند، لأنه كان يجيب ابن أبي داوود في كل ما سأل عنه حتى إذا بلغ المنخنق و الموضع الذي إن قال فيه كلمة واحدة برئ منه أصحابه قال ليس أنا متكلم. فلا هو قال في أول الأمر لا علم لي بالكلام، و لا هو حين تكلم فبلغ موضع ظهور الحجة خضع للحق[1].

مما ذكرناه سالفا في هذا المبحث يتجلى لنا أن المعتصم كان أكثر تمسكا بفكرة خلق القرآن من أخيه المأمون، فكان أقصى من الخليفة المأمون على خصوم فكرة خلق القرآن، وهو ما تجلى من خلال التنكيل بالإمام أحمد، وبذل كل السبل في سبيل إقناعه بخلق القرآن، كما أن فترة المعتصم كانت الفترة التي أكد فيه المعتزلة وبما لا يدع مجالا للشك، سيطرتهم الكاملة والكلية على دواليب الحكم ومقاليد السلطة، فتجلت قوتهم وبلغوا أعلى درجات سلم السلطة والنفوذ.

ثانياً: المعتزلة في عهد الخليفة الواثق

1- الواثق و محنة خلق القرآن

لما قضى الخليفة المعتصم و خلفه الواثق* كان المعتزلة قد بلغوا أوج قوتهم، فأسكرتهم نشوة الظفر وأعمتهم شهوة السيطرة، ولذلك حملوا الخليفة الجديد على التمادي في المحنة، فأشغل نفسه بها، يقول الحنبلي إن الواثق كان شديد الاعتزال فقام بالمحنة القيام الكلي، وإن أحمد بن أبي داوود هو الذي شدد عزمه عليها[2].

و كان موقف الواثق في المحنة أكثر تشددا من سلفه المأمون و المعتصم، فأرسل الرسل، وأمر بامتحان الجميع في القرآن، فحبس جراء ذلك كثير، فامتحن أهل الثغور وضرب أعناق من لم يقل بخلق القرآن، ومن الأدلة على شدت الواثق في المحنة أنه حمل أبا يعقوب يوسف بن يحيى البويطي المتقشف من مصر إلى العراق للامتحان فامتنع من الجواب، فقيد وسجن في بغداد ومات في السجن، ومع ذلك فإن الواثق لم يتعرض لابن حنبل ولم يمتحنه

---

[1] زهدي حسين جار الله، المعتزلة، مرجع سابق، ص176

*الخليفة الواثق(812م-847م)هو أبو جعفر و أبو القاسم هارون بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد، بن هارون الرشيد، بن المهدي محمد، بن المنصور العباسي البغدادي، ولد بمكة المكرمة،تشدد في المحنة قبل التراجع قبل مةته، دامت خلافته خمس سنوات فقط، توفي ب سامرا.(الإمام الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج10،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط1982،1،ص307)

[2] ابن عماد الحنبلي،شذرات الذهب في أخبار من ذهب،ج3،دار ابن كثير،دمشق،ط1ن1988،ص150

ولكنه أرسل إليه يقول: لا تساكني بأرض، فاختفى الإمام بقية حياة الواثق لا يخرج إلى صلاة و لا غيرها[1].

بلغ من تشدد الواثق في حمل الناس على القول بخلق القرآن أنه لما اتفق مع الإمبراطور البيزنطي ميخائيل ثيوفلس على فداء كل أسير بمثله سنة 231هـ أرسل مع الجيش الذي حضر الفداء اثنين من رجاله فوقفا على قنطرة النهر، وكلما مر رجل من الأسرى امتحناه فمن أقر بخلق القرآن، وأن الله عز و جل لا يرى في الآخرة فودى به و من لم يقر بذلك ترك أسيرا بيد البيزنطيين[2]، وهنا نلاحظ مساوئ التعصب التي تأتي على الأخضر واليابس، فوصلت لدرجة التخلي عن من لم يوافق فكر الواثق، فكان كل من لا يقول بخلق القرآن لا يستحق الحرية في نظر الواثق ومن والاه.

2- التمرد على الواثق

لأن الضغط دائما ما يولد الانفجار، فكان لا بد من أن يضجر وينتفض ويثور الناس بعد كل ما لقوه من شدة امتدت لسنوات طويلة، وعدة خلفاء انطلاقا من الخليفة المأمون مرورا بالمعتصم ولما ظن الجميع أن المحنة قد ماتت بموت المعتصم، جاء الواثق وكان أشد على الناس فيها من سلفه، و انطلاقا من كل هذا فإن الثورة على سلطة المعتزلة المتقنعة بالسلطة العباسية، كانت أمرا متوقعا بل ومنتظرا، يقول المسعودي عن الواثق في هذا الصدد: "شغل نفسه بمحنة الناس في الدين فأفسد قلوبهم وأوجد لهم السبيل إلى الطعن عليه"[3]، ويشير ابن الأثير أن العامة كانوا يتهمونه بالكفر[4].

ولما تزايد نفور الناس من المحنة و عظم حنقهم عليها اشرأبت أعناق جماعة منهم إلى الفتنة و رتبوا مؤامرة برئاسة أحمد بن نصر الخزاعي للخروج على الخليفة و قلب نظام الحكومة، كان أحمد بن نصر من وجهاء بغداد، يخالف من يقول بخلق القرآن و يبسط لسانه فيهم، ولا يتورع في مجلسه في التهجم على الواثق فيقول: هذا الخنزير، وهذا الكافر. فصار أصحاب الحديث يغشونه، و تجمع حوله من ينكر القول بخلق القرآن من أهل بغداد نظرا لمكانته وأخذه برأيهم، فحملوه على الحركة لإنكار ذلك القول، وبايعوه وعينوا ليلة خروجهم وجمعوا الناس ووزعوا الدراهم عليهم. ولكن أمرهم افتضح قبل ظهورهم، وألقي القبض على أحمد بن نصر وسيق إلى الواثق في سامرا مقيدا على بغل[5].

---

[1] زهدي حسين جار الله: المعتزلة،مرجع سابق،ص177

[2] أبو العباس اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي،ج3،المكتبة المرتضوية،النجف،ص207

[3] فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية عصر القوة و الازدهار،ج1،دار الشروق،عمان،ط2003،1،ص284

[4] أحمد شوقي إبراهيم العمرجي: المعتزلة في بغداد و أثرهم في الحياة الفكرية و السياسية،مكتبة مدبولي،القاهرة،ط2000،1،ص 74.

[5] زهدي حسين جار الله: المعتزلة،مرجع سابق، ص178

وعقد الواثق لأحمد مجلس مناظرة، سأله فيه فقط في مسألة خلق القرآن، فقال له: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله، قال له: أفمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله، وامتنع أن يقره على قوله في خلقه، وسأله الواثق عن رؤية الله يوم القيامة، قال يا أمير المؤمنين: جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: "ترون القمر يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته"، فأباح عبد الرحمان بن إسحاق و أبو عبد الله الأرمني و ابن أبي داوود، فقتله الخليفة الواثق بالصمامة، فصلب و حمل رأسه لبغداد، فنصبه في كل جوانب المدينة[1].

ثم إن الواثق تتبع أصحاب ابن نصر فألقى عليهم القبض ووضعهم في السجون المظلمة، مكبلين بالحديد، ومنعوا حتى من الصدقة التي توزع عادة على المساجين، وحرموا الزوار[2].

مما لا شك فيه أن هذا التفنن في التعذيب والتنكيل والتمثيل، لم يكن إلا كرد فعل انتقامي من الخليفة الواثق، على من حاول الانقلاب على حكمه، ونشر الفتنة والبلبلة بين رعيته، فاستعمل الخليفة سلطته، وأجهض مخططاته، وفرض عليه من التنكيل والوحشية ما فرض.

3- رجوع الواثق عن القول بخلق القرآن

رغم تشبث الواثق بالمعتزلة و قوله بخلق القرآن، وبذله الغالي والنفيس في سبيل نشر أفكار المعتزلة وتعميمها إلا أنه رجع عن الاعتزال قبل وفاته بعد أن شهد مناظرة بين أبو عبد الرحمان عبد الله محمد الأذرمي وابن أبي داوود فكانت المناظرة كالتالي، قال الخليفة الواثق لابن أبي داوود: كلمه

عبد الله الأذرمي: ما تقول في القرآن؟

ابن أبي داوود: مخلوق.

عبد الله الأذرمي:هذا شيء علمه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي؟

ابن أبي داوود: علموه و لم يدعوا الناس إليه.

عبد الله الأذرمي: أفلا وسعك ما وسعهم[3].

فقام الواثق و دخل إلى مجلسه و هو يقول لنفسه: هذا شيء لم يدعوا النبي صلى الله عليه و سلم و خلفاؤه الراشدون الناس إليه أفلا وسعك ما وسعهم. و نتيجة لذلك دعا الواثق حاجبه

---

[1] أحمد شوقي إبراهيم العمرجي: المعتزلة في بغداد و أثرهم في الحياة الفكرية و السياسية،مرجع سابق،ص75

[2] زهدي حسين جار الله، المعتزلة: مرجع سابق، ص179

[3] أبي الفرج عبد الرحمان الجوزي: مناقب الإمام بن حنبل،مرجع سابق،ص351

وأمره أن يرفع عن الشيخ القيود، و أن يعطى مالا، و يسمح له في الرجوع و سقط من عينه ابن أبي داوود و لم يمتحن أحدا بعد ذلك[1].

فدون الشيخ عبد الله محمد الأذرمي نقطة النهاية، لسيطرة المعتزلة على السلطة، و تأثيرهم على الخلفاء، فكانت مناظرته مع ابن أبي داوود، بداية لانهيار المعتزلة و اضمحلال فكرها، و تلاشي أنصارها، فلم يمتحن أي من الخلفاء بعد الواثق الناس في مسألة خلق القرآن.

يتضح مما سبق بأن المعتزلة وككل طائفة فكرية أو رافد ديني جاؤوا بأفكار وتوجهات ومعتقدات لم يقبلها مجتمعهم فعارضوهم ونبذوهم، فكان لزاما عليهم الولوج إلى عالم السياسة لتقوية موقفهم ومحاربة أعدائهم وتكريس تعاليمهم، فالناس على دين ملوكهم، فصال رجالات المعتزلة وجالوا بلاطات الحكام تفاديا للسجون، فسيطر المعتزلة على المأمون فكريا حتى أنه اعتزل، واستشرس في الدفاع عن أفكارهم التي تشربها حد الاقتناع، و لكن دوام الحال من المحال فعاش المعتزلة شتى المراحل من البروز فالاستقرار ثم الانحدار والاضمحلال.

المبحث الثالث: اضمحلال المعتزلة

لقد عاش المعتزلة أزهى العصور، فتنقلوا بين القصور، واستحوذوا على كل الأمور، فاستعملوا السلطة، وتصرفوا فيها، ونشروا معتقداتهم، وفرضوا أفكارهم، فكانت مرحلة الخليفة المأمون، فالخليفة المعتصم، وصولا للخليفة الواثق، أزهى العصور، مكمن القوة، وأوج الرفعة، فحاكموا الناس، وامتحنوا العلماء، وانتقموا من الخصوم والأعداء، و لكن دوام الحال من المحال، فكان حريا أن يغدر الزمان، فبعد القوة والازدهار، سيأتي الضعف والانحدار، فيا ترى ما الأسباب التي أدت بالمعتزلة لهذه النهاية السيئة؟

المطلب الأول: المتوكل والمعتزلة

بعد وفاة الخليفة الواثق خلفه جعفر أبو الفضل بن المعتصم بن الرشيد المعروف بالخليفة المتوكل على الله، فلم يتحمس للقول بخلق القرآن و بالتالي فترت حركة الامتحان، وأبطل المتوكل القول بخلق القرآن، ونهى عن الجدال فيه وفي غيره وأظهر السنة[2]، واستقدم المحدثين في سامرا وأجزل عطاياهم وأكرمهم[3].

بدأ مع المتوكل دور ضعف المعتزلة وسقوطهم، ولم تكن سياسة المتوكل راديكالية في اقتلاع المعتزلة، وذلك راجع للشعبية الكبيرة التي كانت تدعم الفرقة، فالمعتقدات الدينية لها

---

[1] أحمد شوقي إبراهيم العمرجي،المعتزلة في بغداد و أثرهم في الحياة الفكرية و السياسية،مرجع سابق،ص77

[2] المرجع نفسه، ص78

[3] الإمام السيوطي: تاريخ الخلفاء،دار ابن حزم،بيروت،ط1،2003،ص274

في قلوب الناس أثر عميق وعلى نفوسهم هيمنة قوية، فليس في الإمكان القضاء عليها بسرعة وهو ما ينطبق تماما على المعتزلة الذين لهم مبادئ راسخة يجمعون عليها و يدينون بها، والذين كان لهم إتباع كثيرون مخلصون منتشرون في طول البلاد وعرضها، وكانت لهم السلطة في تلك الدولة الواسعة، وقد تذوقوا حلاوتها وتمتعوا بخيراتها، فلا يعقل أن يتخلوا عما كان في أيديهم بسهولة[1].

المطلب الثاني: القضاء على المعتزلة

بدأ الخليفة خطته في القضاء على المعتزلة وأفكارها فكانت البداية بإفقادهم نقاط قوتهم المتمثلة في حظر الجدال وفتح الباب أمام الشيوخ المحدثين، فيقول المسعودي في كتابه مروج الذهب: "لما أفضت الخلافة إلى المتوكل أمر بترك النظر و المباحثة والجدال، والترك لما عليه الناس في أيام المعتصم والواثق وأمر الناس بالتسليم والتقليد، وأمر الشيوخ المحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة"[2]، كذلك أطلق المتوكل من كان في السجون من أهل البلدان، ومن أخد في خلافة الواثق فخلاهم جميعا وكساهم، وكتب الى الأفاق كتبا ينهي عن المناظرة والجدل فأمسك الناس[3].

لقد كانت خطة المتوكل لاستئصال المعتزلة وفكرهم منهجية، تمر على عدة مراحل وكانت المرحلة الثانية بمثابة جهر الخليفة بدعمه لأهل السنة على حساب المعتزلة "ثم جاءت الخطوة الثانية سنة 234هـ، ففي تلك السنة ظهر بوضوح تطور سياسة المتوكل تجاه المعتزلة فأظهر السنة ونهى عن القول بخلق القرآن، وهدد من أثار هذه المسألة، واستقدم العلماء و الفقهاء والمحدثين إلى سامرا وأجزل عطاياهم وأكرمهم، وأمرهم أن يجلسوا للناس ويحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية للرد على المعتزلة، وجلس أبو بكر بن أبي شبيبة في جامع الرصافة، فاجتمع إليه نحو ثلاثين ألف نفس، وجلس أخوه عثمان في جامع المنصور، فاجتمع إليه أيضا نحو ثلاثين ألف نفس"[4].

أخيرا خطا المتوكل الخطوة النهائية وضرب ضربته الكبرى سنة 237هـ فأعلن سخطه وغضبه على المعتزلة، وعزل أبا الوليد عن المظالم بسامرا، ثم عن قضاء القضاة، وألقاه في السجن هو وسائر إخوته، وقبض ضياع أبيهم و أملاكه، ولم يخل سبيلهم إلا بعد المصالحة على مبلغ ضخم من المال، وحذرهم جميعا بعد ذلك إلى بغداد، فأقاموا فيها حتى توفي أبو الوليد سنة 240هـ ثم لحقه أبوه أحمد بن أبي داوود بعد عشرين يوما[5]، وفي السنة نفسها أمر المتوكل بإنزال جثة أحمد بن نصر، فأنزلت وضم رأسه إلى جسده، ودفعت إلى

---

[1] زهدي حسين جار الله: المعتزلة، مرجع سابق، ص180

[2] أحمد شوقي إبراهيم العمرجي: المعتزلة في بغداد و أثرهم في الحياة الفكرية و السياسية،مرجع سابق،ص78

[3] اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي،ج3،المكتبة المرتضوية،النجف،ص209

[4] أحمد شوقي إبراهيم العمرجي: المعتزلة في بغداد و أثرهم في الحياة الفكرية و السياسية،مرجع سابق،ص79

[5] أبي بكر البغدادي: تاريخ بغداد أو مدينة السلام،ج1،دار الكتب العلمية،بيروت،ص298

أوليائه في يوم عيد الفطر فدفنت[1]، فكان ذلك الإعلان رصاصة الرحمة التي طوت سنين العز والجاه لفرقة بذلت الغالي والنفيس في سبيل الوصول للسلطة و تبيين أفكارهم وفرضها بالحجة و البرهان، ولكن دوام الحال من المحال، فدون الخليفة المتوكل نقطة النهاية للمعتزلة في موضع القوة.

كذلك أرسل المتوكل إلى الإمام أحمد بن حنبل فاستدعاه من بغداد، فورد في كتاب علي بن الجهم للإمام أحمد "إن أمير المؤمنين قد صح عنده براءتك مما قرفت به، و قد كان أهل البدع مدوا أعينهم، فالحمد لله الذي لم يشمتهم بك، قد وجه إليك أمير المؤمنين يأمرك بالخروج، فالله الله أن تستعفي أو ترد المال"، فقربه وأكرمه حتى كان لا يولي أحدا إلا بعد مشورة الإمام، ورفض المتوكل الوشايات التي كانت تهدف إلى الوقيعة بينه وبين الإمام أحمد بن حنبل[2]، فقد أنصفت الأقدار الإمام وحصل على بعض مما يستحق، فبغض النظر عن أفكاره ومعتقداته، إلا أن نضاله وعناء الكفاح الذي قام به، كان يستحق نهاية سعيدة ورد الاعتبار الذي شمله من الخليفة المتوكل.

لقد كان لهذه النكبة التي حلت بالمعتزلة أثر عميق في نفوس عامة الشعب وأهل الحديث الذين كانوا يمقتونهم مقتا شديدا[3]، لا سيما أهل الحديث أصحاب ابن حنبل الذين عانوا من المحنة والشدائد وذاقوا على أيدي المعتزلة الأمرين، فكان حنق الناس على أهل الاعتزال عظيما وغيظهم منهم بالغا، ولكنهم اضطروا أن يسكتوا على غل ويصبروا على مضض لأنهم كانوا يخشون سطوة الخليفة الضالع مع المعتزلة ويرهبون بطشه، وقد كان الخليفة مسيطرا على السلطة، ما منع الناس من التعبير عن سخطهم، فلما رفع المتوكل المحنة وأقصى المعتزلة، انفجر البركان و ظهر الحقد الدفين على المعتزلة، فانتشر بين العامة نشيد ردد في الأسواق:

لا و الذي رفع السماء بلا عماد للنظر

ما قال قائل في القرآن بخلقه إلا كفر

لكن كلام الله منزل من عند خلاق البشر[4]

وتجلى سخط الناس في عدة مواضع، لعل أبرزها، ما حدث في جنازة أحمد بن نصر التي مشى فيها جماهير العامة في بغداد، و أخذوا يتمسحون بالنعش حتى أن المتوكل تخوف من اجتماع العامة و تجمهرهم على هذا النحو فكتب إلى عامله يأمره بمنعهم من الحركة في

---

[1] زهدي حسين جار الله: المعتزلة، مرجع سابق، ص184

[2] أبي الفرج عبد الرحمان الجوزي: مناقب الإمام بن حنبل،مرجع سابق ،ص378

[3] أحمد شوقي إبراهيم العمرجي: المعتزلة في بغداد و أثرهم في الحياة الفكرية و السياسية،مكتبة مدبولي،القاهرة،ط1، 2000م، ص80.

[4] زهدي حسين جار الله: المعتزلة، الأهلية للنشر و التوزيع بيروت، ص184

مثل هذا الأمر، و حري بنا أن لا ننسى ما حدث في جنازة الإمام أحمد بن حنبل حيث حضر جنازته جمع هائل من الناس[1].

وبقدر ما كان استياء الخلق من المعتزلة شديدا، كان سرورهم من المتوكل الذي نكب المعتزلة عظيما، فقد صاروا يعظمونه ويرفعون من شأنه، وتوفروا للدعاء له، وبالغوا في الثناء عليه، حتى قال قائلهم: الخلفاء ثلاثة، أبو بكر يوم الردة، و عمر ابن عبد العزيز في رد المظالم، والمتوكل في إحياء السنة، و لذلك سمى بعضهم المتوكل بمحيي السنة، وانبروا يمدحونه بالأشعار[2]، فقد لعب المتوكل لعبة السياسة بحرفنة، فضرب عدة عصافير بحجر واحد، فمن جهة قضى على المعتزلة التي كان يمقت فكرهم، ومن جهة أخرى تخلص من فرقة كانت لتقض مضاجعها نظرا لنزعتهم للتمرد، ومن جهة أخرى نمت شعبيته وزاد حب رعيته وتعظيمها له، "وقد استفاد المتوكل من كل هذه الجلبة سياسيا، واستعملها لصالحه، فحقق رغبته باكتساب تأييد الفقهاء ورجال الدين الذين لهم تأثير على الناس ضد العناصر المناوئة له، وبخاصة قواد الاتراك الذين كانوا يطمحون إلى الاستئثار بالسلطة دون الخليفة، فقد نجح الخليفة المتوكل في النهاية في الحصول على تقدير العامة و الفقهاء ورجال الدين والعلماء، بعد القضاء على المحنة التي كانت الشغل الشاغل للناس لفترة ليست بالقصيرة، فقضائه على المعتزلة كان بمثابة الغصة التي أزيحت"[3].

المطلب الثالث: أخطاء المعتزلة التي أدت إلى سقوطهم

رغم كل المهارات التي حواها المعتزلة إلى أنهم ارتكبوا أخطاء قاتلة ضربتهم في الصميم فساهمت أو عجلت بسقوطهم حيث أنهم لم يبرعوا في سياسة الرعية و تحبيبهم فيهم فعددوا الخصومات وتشددوا في الحكم وفرضوا المذهب فلقوا سوء المنقلب "ثم إن المعتزلة كانوا قصيري النظر عديمي الحنكة، أثاروا بقلة تبصرهم و سوء تصرفهم عامة الشعب، وألبوا عليهم جمهور الأمة، فاستفزوا رجال الحديث برميهم بالكذب والتزوير، وقطع أسباب رزقهم، بمنعهم من تدريس الحديث، وتناول الأعطيات، فخاف المحدثون من إهمال الحديث، وفقدان مراكزهم الاجتماعية، وانسداد سبل العيش في وجوههم، وانطلاقا من ذلك أصبح علماء الحديث ألذ أعداء الاعتزال، فلم يدخروا جهدا في سبيل التعبير عن عداواتهم للمعتزلة وأعلامها وأفكارها وإستشرسوا في مقاومة كل ما يمت للاعتزال بصلة"[4]،كما تحامل المعتزلة على أئمة الصحابة، ولم يقف المعتزلة عند هذا الحد بل لتعدوه لما هو أدهى وأمر، فقد آمنوا أنهم وحدهم على صواب وأن غيرهم على خطأ، راحوا يزدرون من يخالفهم في الرأي من أهل السنة ويدعونهم الحشوية، ثم تمادوا في ذلك فصاروا يرفضون

---

[1] أحمد شوقي إبراهيم العمرجي:المعتزلة في بغداد و أثرهم في الحياة الفكرية و السياسية،مكتبة مدبولي،القاهرة،ط1،2000،ص80

[2] زهدي حسين جار الله، المعتزلة، الأهلية للنشر و التوزيع بيروت، ص188

[3] أحمد شوقي إبراهيم العمرجي،المعتزلة في بغداد و أثرهم في الحياة الفكرية و السياسية،مرجع سابق ،ص81

[4] زهدي حسين جار الله، المعتزلة، المرجع السابق، ص189

شهاداتهم و يكفرونهم، ولا سيما المردار الذي غالى في تكفير غيره فوضع كتابا في القدر والتشبيه أكفر فيه أهل الأرض[1].

يرى البعض أن المعتزلة قد أخطئوا في المحنة، لأنهم هدموا أعظم ركن من أركان مذهبهم وهو القول بحرية الفرد في اختيار أفعاله، ودفاعهم عن تلك الحرية، وفي الوقت نفسه فرضوا مذهب خلق القرآن على الناس فرضا وأرغموهم عليه، وامتحنوهم فيها، فناقضوا بذلك أنفسهم[2]، فلم يعترض المعتزلة على ما قام به الخلفاء العباسيون من اعتقالات رأي، رغم أن المعتزلة كان من المفترض أن يكون أول من يستنكر ذلك، نظرا لنضالهم المتجدر في الحرية الفكرية،"ولا ريب أن الرجعية كانت متأصلة في نفوس العامة، متحكمة في كثير من العلماء الذين كانوا لا يرغبون في مخالفة السلف في شيء، لكن المعتزلة مسئولون عن بعثها من مرقدها والنفخ في نارها، فالمعتزلة بامتحانهم الناس في خلق القرآن قد خالفوا مبادئهم أولا، وقووا النزعة الرجعية في الأمة و أثاروا فيها روح التعصب ثانيا، فبدءو يسقطون أدبيا و ماديا، و بذلك كانوا كمن سعى إلى حتفه بظلفه و حفر رمسه بيده"[3].

المبحث الرابع: تأثيرات الفكر الإعتزالي

رغم انهيار الفكر الاعتزالي، و انحداره، وتوجهه بخطى ثابتة نحو الهاوية، إلى أن الخلايا النائمة للفرقة، استعصت على الاندثار، فبقي عند البعض من الوفاء للفرقة وأفكارها، ما جعل أفكار الاعتزال، ومداها الذي كان جارفا يوما ما يصل العصور المتأخرة، فما تأثيراته على الشيعة؟ وهل كان الفكر الاسلامي المعاصر وقاماته الفكرية بمنأى عن امتداد الفكر الاعتزالي شرقا وغربا؟

المطلب الأول: المعتزلة والشيعة

أولا: تأثير آل البيت على ظهور الاعتزال

تدور في بعض الدوائر العلمية أن الشيعة معتزلة، وأن المعتزلة في غالبيتهم متشيعة، حتى اعتبر بعضهم أن التشييع وريث الاعتزال، و ربما يبغي من وراء ذلك صهر التشيع بالعقلانية[4].

يظهر بوضوح للباحث أو الدارس للمعتزلة والإعتزال، تشبع المعتزلة من أفكار أهل البيت وتقديسهم لكل ما يمت لهم بصلة، فهم يشيرون في عديد المواضع إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فنجد تشابها عميقا بينهم و بينه فيما يتعلق بالحرية، "حتى أن

---

[1] زهدي حسين جار الله، المعتزلة، المرجع السابق، ص190

[2] أحمد شوقي إبراهيم العمرجي: المعتزلة في بغداد و أثرهم في الحياة الفكرية و السياسية،مرجع سابق،ص81

[3] زهدي حسين جار الله: المعتزلة، مرجع سابق، ص193

[4] كولن تيرنر: التشيع والتحول في العصر الصفوي،منشورات الجمل،بغداد،ط1،2008،ص6

الشيعة يعتقدون أن عليا كان أول من قال بحرية الارادة، والمعتزلة لم يكلفوا أنفسهم الا عناء الشرح التي كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه واضع أسسها و منشأها مع الأئمة من أهل بيته"[1].

لقد قد كان فكر علي أقرب ما يكون للفلسفة اليونانية، فالتقى إطلاع المعتزلة على الفلسفة اليونانية، وتشبثهم بأفكار الإمام، أقرب ما يكون للتكامل، وهو ما أكد عليه ابن أبي حديد المعتزلي حين قال في كتابه شرح نهج البلاغة فقال: "وأما الحكمة و البحث في الأمور الإلهية فلم يكن من فن أحد من العرب، ولا نقل في جهاز أكابرهم وأصاغرهم شيء من ذلك أصلا. وهذا فن كانت اليونان وأوائل الحكماء وأساطين الحكمة ينفردون به. وأول من خاض فيه من العرب علي عليه السلام. ولهذا تجد المباحث الدقيقة في التوحيد والعدل مبثوثة عنه في فرش كلامه وخطبه"، كما ذكر المعتزلة الإمام عليا في الطبقة الأولى من طبقاتهم وذكروا أيضا الحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي في الطبقة الثانية، وكان هذا الأخير هو من ربى واصل بن عطاء[2].

ثانيا: تأثير المعتزلة على الشيعة

جدير بالملاحظة أن طوائف الشيعة قد سادت فيها مبادئ المعتزلة في كثير من المسائل لا سيما ما لم يتأثر منها بعقيدة الإمام أو المهدي، فقد استطاع فقهاء الشيعة و علماء التوحيد منهم أن يستفيدوا من أفكار المعتزلة و يستخدمونها لدعم عقائدهم و مذاهبهم الخاصة[3].

و لكن الشيعة تقسموا لثلاثة طوائف اختلفت كل منهم في علاقاتها بالمعتزلة

فكانت الغالية التي غالت في الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقالوا فيه قولا عظيما، ولذلك قيل أن المعتزلة وضعت الأصل الأول من أصولها الخمسة، و هو التوحيد للرد على غلاة الشيعة[4]، فرغم كم الاحترام والتبجيل التي كنه أعلام المعتزلة لسيدنا علي إلا أنه لم يصل لدرجة التأليه و المغالاة في التقديس.

أما الرافضة الذين قالوا إن الله قد و صورة و أنه جسم ذو أعضاء، وإذا نظرنا إلى الرافضة وعلاقتها بالمعتزلة،نرى أن المتقدمين منهم كانوا كذلك خصوما للمعتزلة، لقولهم بالرجعة والتشبيه وغير ذلك يقول الخياط المعتزلي: "فهل كان على الأرض رافضي إلا وهو يقول: إن الله صورة، ويروي في ذلك الروايات، ويحتج فيه بالأحاديث عن أئمتهم، إلا من صحب المعتزلة منهم قديما فقال بالتوحيد فنفته الرافضة عنها ولم تقر به، ولا أعلم أحدا

---

[1] حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي و الديني و الثقافي،ج1،دار الجيل،بيروت،ط1996،14،ص343

[2] المرجع نفسه،ص344

[3] حسن ابراهيم حسن،تاريخ الاسلام السياسي و الديني و الثقافي،ج1،مرجع سابق،ص343

[4] المرجع نفسه،ص345

قال إن الله يخاطب الخلق من صورة يوم القيامة، إلا أبا بكر بن أخت عبد الواحد ومن اتبعه وهم أبعد خلق الله من الروافض وأعداء لأهله"[1].

أما الزيدية أتباع زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي، فقد كانت صلة المعتزلة بهم أقوى منها بغيرهم من الشيعة، وترجع هذه الصلة إلى أيام زيد بن علي الذي تتلمذ لواصل بن عطاء رأس المعتزلة، واقتبس منه أصول الاعتزال، وأصبح جميع أصحابه معتزلة إلا من خرج عليه منهم، وتجلى التوافق بين المعتزلة والزيدية في عديد المواقف لعل أبرزها مبايعة محمد النفس الزكية، كما لم يتخلى المعتزلة عن الزيدية و أعلنوا سخطهم على السلطة العباسية، كما حاربوا جنبا لجنب أبو جعفر المنصور[2].

و نظرا للتشابه الرهيب والتقارب العجيب بين المعتزلة والشيعة فقد اختلط الأمر على المؤرخين في التمييز بين كتب الشيعة ونظرائهم المعتزلة خاصة في مجال التوحيد، فلو لا أن الشيعة تشدقوا في ذكر عصمة الأمام ونظريته لما كان ممكنا التفريق بينهما أبدا.

لكن ورغم ذلك فقد حاد الإمام المعتزلي النظام عن القاعدة وقال بما قاله الشيعة في الإمام و العصمة، وجدير بالملاحظة أن البراهين التي استذل بها الشيعة في نظرية الإمامة كانت أفكار إعتزالية خالصة، فالقول بوجود إمام معصوم في كل عصر، يوازي بالمطلق قول المعتزلة بوجوب ارسال الله تعالى للرسل فهو حكيم و عادل، ومن تم يقول الشيعة: "إن الله يبعث للناس في كل عصر مرشدا وهاديا معصوما من الخطأ، وهكذا نرى الشيعة تقيم قواعدها الرئيسية على نظريات عقائد المعتزلة"[3].

المطلب الثاني: معتزلة العصر المعاصر

أولا: محمد عابد الجابري

يعتبر الجابري واحداً من أهم النماذج المعاصرة الذين تأثروا بفرقة المعتزلة، وهذا ما تُظهره النزعة العقلانية التي سيطرت على فلسفته، ولم يتوانى الجابري في جل كتاباته في مدح المعتزلة و إعتبارهم بارقة الأمل التي تخللت سماء الأمة كما رأى فيهم صمام الأمان الحامي من كل الشوائب، و يقول الجابري في هذا الصدد: "إن جهود المعتزلة كانت موجهة لتحصين العقل البياني العربي وتطوير العقلانية العربية الإسلامية من خلال تلك المعارك الضارية التي خاضوها في واجهتين مختلفتين: فمن جهة تمكن المعتزلة من رد الهجمات المانوية وتفكيك أطروحاتهم وتزييفها بإرغامهم على الاحتكام إلى العقل البياني العربي الذي

---

[1] أبي الحسن الخياط: الإنتصار و الرد على ابن الروندي الملحد،مصدر سابق،ص144

[2] حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي و الديني و الثقافي،ج1،مرجع سابق،ص346

[3] المرجع نفسه، ص346

يعتمد على الحس والتجربة كما تحملهما اللغة العربية، الشيئ الذي يعني نفي الغنوصية منذ اللحظة الأولى"[1].

كما كان الجابري منبهراً بالفيلسوف ابن رشد، حيث خصّه بكثير من الثناء في كتاباته، وأجزل له من المدح و الشكر، ما يبين وبما لا يدع مجالا للشك إعجاب الجابري بابن رشد و فكره، فيصفه بالذكي والعبقري والحدق الذي يرد كيد الخصوم في نحورهم فيلزمهم الحجة، ويخرس ألسنتهم المتطاولة، "وبنفس الذكاء الرياضي، بل العبقرية الرياضية، يناقش ابن رشد اعتراض الغزالي على برهان الفلاسفة على قدم العالم"[2]، ويصفه في موضع آخر بالبطل الذي بلغ أعالي ثورة منهجية التفكير العربي، حتى أنه وصفه بفيلسوف الفردوس المفقود، حين قال: "ثورة تجديدية في في الثقافة العربية ومنهجية التفكير العربي، دشنها ابن تومرت و بلغ قمتها فيلسوف قرطبة أبو الوليد ابن رشد، فهل يستطيع الجيل الصاعد تأصيل الفكر العربي المعاصر، بنفس القوة والحماس اللذين حركا أعظم فيلسوف عربي، ابن رشد، فيلسوف الفردوس المفقود"[3].

لطالما عرف عن الجابري إيمانه بما سماه الرشدية، وهي فلسفة ابن رشد، فقد قال الجابري بأن الحل لمشاكل العصرو الخروج من معضلاته لا يكون إلا باتباع منهج ابن رشد، فابن رشد حسبه نجح بالطول والعرض في محاربة كل إخضاع للعلم على عتبة الدين فيقول في هذا الصدد "ما تبقى من تراثنا الفلسفي أي ما يمكن أن يكون فيه قادرا على أن يعيش معنا عصرنا لا يمكن أن يكون إلا رشديا، فلننظر الآن إلى ما تبقى من الرشدية"[4]، فيتجلى هنا حث الجابري على الاخد بالرشدية التي لا شك يكمن في ثناياها الحل لكل ما نقاسي من جراح.

ثانيا: محمد أركون

لم يختلف الفيلسوف محمد أركون كثيراً عن الجابري في تحديد موقفه من المعتزلة، إذ بدى هو الآخر شديد التأثر بالفكر الاعتزالي، حيث كان لهذا الأخير دوراً بارزاً في تحديد معالم فلسفة أركون وتوجيهها، وهو ما جعل المعتزلة محل ثناء لدى أركون، حيث يعتقد أركون أن العقل المعتزلي عقل نقدي يعتمد في دراسته للقضايا على منهجية واضحة، فالمعتزلة أرباب الشك عند أركون فهم الذين وضعوا كل الأمور على ميزان العقل أولا، ويقول في ذلك: "هذا المذهب الذي يشك في كل ما ينطق به العقل و يحاول تأسيسه كمذهب لا مذهب سواه أو بعده، ثم يفرضه الإنسان بالقوة على الإنسان، ويعلم هذا العقل منذ الكفاح

---

[1] محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،ط8،2002،ص151

[2] محمد عابد الجابري: نحن والتراث،المركز الثقافي العربي،بيروت، ص221

[3] المرجع نفسه،ص260

[4] المرجع نفسه،ص49

الذي انطلق فيه التيار المعروف بالمعتزلة في قضية خلق القرآن، أنه لا سبيل البتة للعقل البشري أن يتوسط بين الخطاب الإلهي والخطابات البشرية، دون أن يضع الأول في السياقات الدلالية والقوانين البلاغية والوسائل الاستنباطية والمبادئ المنطقية التي تتصف بها الثانية"[1].

ينتقد أركون أيضا الفكر الجمعي للمسلمين الذي نسي أو تناسى طرح المعتزلة في مسألة خلق القرآن، واحتفظ بتصور الحنابلة فقط حوله، فالعقل الإسلامي حسبه رعديد يخضع لمسلمات يخاف التعرض لها أبدا، "مأساتنا نحن المسلمين هي أن الأطروحة الحنبلية هي التي انتصرت وترسخت في التاريخ، وحذفت مقولة المعتزلة التي لم تنتصر إلا لفترة قصيرة وفي الأوساط العقلية المستنيرة أيام المأمون بشكل خاص، وبما أن الأطروحة التقليدية قد سيطرت علينا طيلة عشرة قرون أو أكثر، فإننا لم نعد نستطيع أن نتخيل وجود أطروحة أخرى، أو تصور آخر للأمور، لقد طمست أطروحة المعتزلة تحت ركام التاريخ وطبقاته السفلية و بالتالي فينبغي أن نحفر عليها أركولوجيا، أن ننبشها من تحت الأرض، أن نذكر الناس بها"[2].

يرى أركون دائما في مسار دعمه وإيمانه و تسليمه الكلي والتام، بطرح المعتزلة في مسألة خلق القرآن، أن العقل الجمعي تعرض للتضليل، فقد حاول البعض ترسيخ فكرة أن المحنة هي إجبار الناس على القول بخلق القرآن، وأن الحقيقة أن المحنة هي التسليم بالعكس، "لقد بتر المسلمون أنفسهم وبتروا تراثهم وتاريخهم إذ منعوا منعا باتا نظرية المعتزلة عن القرآن المخلوق، ونحن لا نزال ندفع حتى اليوم ثمن هذا البتر دما ودموعا تتجلى فيما يحصل حاليا من مجازر مآس"[3].

ويرد أركون كل ما يمر به العالم الإسلامي من مآسي إلى معضلة خلق القرآن، فقد كان المعتزلة حسب أركون أول من حاول أن يفهم الإسلام، فأصبح الإسلام بعدهم مجرد طقوس نمارسها، وصار القرآن كتابا نطالعه شهر رمضان، دون تدبر أو خشوع، فيسهم ويحث أركون على تفعيل القرآن الكريم بدمجه بالتاريخ لاستخلاص العصارة، "ومن المعلوم أن القائلين بخلق القرآن من المعتزلة قد قصدوا هذا التمييز لكيلا تفرض المقدمات الاعتقادية على البحث العلمي، إلا أن الجانب الاعتقادي قد تغلب مستعينا بالسلطان فأصبحت كثير من الأسئلة والمشاكل فيما يخص القرآن، مما لا يمكن التفكير فيه ومما لم يفكر فيه فعلا إلى يومنا هذا "[4]

---

[1] محمد أركون: قضايا في نقد العقل الديني،دار الطليعة،بيروت،2000،ص9

[2] المرجع نفسه،ص278

[3] المرجع نفسه،ص279

[4] محمد أركون،الفكر العربي،منشورات عويدات،بيروت،ط3،1985،ص19

،"الفكر الإسلامي اليوم هذه الفكرة فإنه عندئذ سوف يمتلك الوسائل الكفيلة بمواجهة المشاكل التي تنهال على الفكر المعاصر من كل حدب و صوب بمصداقية أكبر وابتكارية أقوى و أعظم"[1].

و يتجلى لنا هنا أن المعتزلة و إن ظن خصومها أنهم قضوا عليها، إلا أنها بقيت صامدة تنتشر بوتيرة منخفضة و في هدوء، فالأفكار لا تموت، حتى أن الاعتزال جال العصور، و وصل للعصور المعاصرة، و كان منهجا لعديد المفكرين، الذين رأوا فيه بوصلة النجاة من معضلات العصر.

[1] محمد أركون،الفكر الإسلامي قراءة علمية،المركز الثقافي العربي،ط2،1996،ص82

خاتمة:

تعتبر المعتزلة أهم فرق الكلام الإسلامي على الإطلاق حتى أنها تعتبر مؤسسة هذا الأخير، و قد ترعرع رؤوس الفرقة في حضن أهل السنة قبل أن ينجلى الخلاف بينهم، وينشؤوا فرقتهم، التي احتضنت أفكارهم وتوجهاتهم.

فانبثقت المعتزلة بعد الخلاف الذي حصل بين الحسن البصري وواصل بن عطاء حول ما عرف بالمنزلة بين المنزلتين، فكانت فكرة المنزلة بين المنزلتين أول ما جاء به المعتزلة بقيادة واصل، قبل أن يتعمقوا في أفكار متجدرة أكثر كفكرة خلق القرآن و صفات الله، و اتخذ المعتزلة من أصولهم الخمسة حجرا للأساس، فرفضوا كل من لا يقر بأصولهم(التوحيد-العدل-الوعد و الوعيد-المنزلة بين المنزلتين-الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر).

فاستحوذت المعتزلة على الاهتمام وسلطت عليها الأضواء نظرا للضجة التي أحدثتها بأفكارها الثورية في ذلك العصر، فانفجر خصومهم عليهم بهجمات نجحوا في صدها بقوتهم في الجدال وبراعتهم في المناظرات.

لم تكتفي المعتزلة بإدخال العقل في المعرفة الدينية بل رجحته وقدمته على النقل، حتى أنهم رفضوا الأحاديث التي لا يقبلها العقل، فالعقل عند المعتزلة هو الآمر الناهي، حتى أنهم تمادوا في استعماله، وهو ما أثرى الحركة العقلية في الإسلام.

استعمل المعتزلة تفوقهم الكلامي، في دحض الخصوم، ولم يتوقفوا عند الخصوم من أهل السنة، بل تجاوزوهم، للمناظرة مع الخصوم من الملل الأخرى، فدافعوا عن الإسلام بقوة العقل كما لم يفعل أحد قبلهم.

المعتزلة وككل فرقة كلامية ومذهب فكري، سعت جاهدة للوصول للسلطة، و استمالة الخلفاء، فالرعية على دين حاكمها، وبعد عدد من المحاولات ومثلها من التمردات، نجح المعتزلة أخيرا في التأثير على الخليفة المأمون الذي كان معتزلا، فقربهم وأعلى شأنهم، وتبنى أفكارهم، كفكرة خلق القرآن، ونفي الصفات عن الله، حتى أنه تمادى ففرض تلك الأفكار على الناس فرضا.

ليس المأمون فقط، فقد عاش المعتزلة مرحلة من الازدهار والنفوذ، في عصر الخليفة المعتصم، الذي وعلى غرار سلفه، نكل بكل من لم يعتقد بخلق القرآن، فأثخمت السجون علماءً، ونكل بكل من لم يقل قول المعتزلة تنكيلا.

استمرت العصور الزاهية، لفرقة المعتزلة، بوصول الواثق للخلافة، فدعمهم وآمن أفكارهم في بدايات خلافته، قبل أن يتراجع عن ذلك في آخر أيامه، فيكون ذلك بمثابة بداية النهاية لعصور القوة والسلطة والنفوذ المعتزلي، فكانت بداية الانهيار والانحسار والاندثار.

فأنهى المعتصم الذي خلف الواثق بعد وفاته، ما بدأه سلفه، فانتهج خطة من ثلاثة مراحل، كللت في النهاية بنجاحه في مساعيه، فسقط المعتزلة سقوطا حرا، وإنتهت أول وآخر مرحلة إستمتع فيها المعتزلة بالقوة والسلطة والنفود.

رغم الإندثار و الإنحسار إلى أن فكر المعتزلة بقى مستمرا، تتوارثه الأجيال حتى أن أفكار عديد العلماء والمفكرين، تشي باعتزالهم الضمني حتى وإن لم يصرحوا بذلك مباشرة، فخلد فكر المعتزلة رغم القمع والتنكيل، وإستمر ليصل لنا رغم كل الظروف والعقبات والمطبات.

كإجابة على الإشكالية المطروحة في مقدمة هذا العمل فإن المعتزلة قد نجحوا نجاحا رهيبا في تطبيق أفكارهم على السلطة السياسية، فقد نجحوا في ضم المأمون والمعتصم والواثق في بدايات حكمه لصفهم، فتغنى الخلفاء بأفكارهم و إقتنعوا بمعتقداتهم ولكنهم فشلوا مع الخلفاء المتأخرين، إنطلاقا من المتوكل وذلك راجع لإستبدادهم بالحكم فقد جعلوا من السجون بيوتا لكل من يخالفهم في رأي أو لا يوافقهم في لفكرة، فولدوا حنق الناس عليهم، وأعطوا خصومهم فرصة للتموضع مرة أخرى، فكانت القاضية.

قائمة المصادر و المراجع

- إبن منظور عماد الدين أبو الفضل:لسان العرب، ج11، دار المعارف، القاهرة
- محمد بن أحمد القرطبي أبو عبد الله:الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، ج19، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 2006
- شوقي ضيف و آخرون:المعجم الوسيط ج2،مجمع اللغة العربية مكتبة الشروق الدولية،مصر، ،2004،*
- شمس الدين الذهبي:سير أعلام النبلاء،ج5،مؤسسة الرسالة،ط11،بيروت،1996
- شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج4،مؤسسة الرسالة،ط11،بيروت،1996
- المعتق عواد بن عبد الله:المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها،مكتبة الرشد،الرياض،ط1995،2
- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار القباء الحديثة، القاهرة، 2007
- أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، دار النهضة العربية، بيروت، ط5، 1985
- أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي بيروت ط2، 1969
- جعفر السبحاني: بحوث في الملل و النحل،ج7،مؤسسة الإمام الصادق،قم،1428هـ
- أحمد بن يحيى بن المرتضى: طبقات المعتزلة،فرانزشتاينر،فيسبادن
- هانم إبراهيم يوسف،أصل العدل عند المعتزلة، دار الفكر العربي القاهرة ط1، 1993.
- أحمد بن يحيى المرتضى، المنية و الأمل، دارمطبعات الإسكندرية، 1972م،.
- الشهرستاني: الملل و النحل، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1993
- أبي الحسن الخياط،الانتصار،مطبعةدار الكتب المصرية،القاهرة،1925
- السمعاني: الأنساب، ج12، دار المعارف العمانية، ط1، 1963
- طاش كبري زاده. مفتاح السعادة ج2، دار الكتب العلمية بيروت 1985
- المسعودي: مروج الذهب ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1985،1،
- عواد بن عبد الله العتيق، المعتزلة و موقف أهل السنة منها، مكتبة الرشد الرياض 1995 ط2،
- محمد الصالح السيد، مدخل الى علم الكلام، دار القباء القاهرة. 2001،
- علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية مدخل دراسة،مكتبةوهبة،القاهرة ط2 1995
- جمال الدين القاسمي الدمشقي، تاريخ الجهمية و المعتزلة، مؤسسة الرسالة،ط1979،1

- مصطفى الشكعة: الأئمة الأربعة الإمام أحمد بن حنبل،دار الكتاب المصري،القاهرة،1990
- تقي الدينالمقريزي،الخططالمقريزية ج4،مطبعة النيل،1326ه،
- محمد إبراهيم الفيومي، المعتزلة تكوين العقل العربي،دار الفكر العربي،القاهرة،ط1،
- زهدي حسين جار الله، المعتزلة، الأهلية للنشر و التوزيع بيروت
- محمد علي أبوريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1992
- هنرى كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، عويداتللنشرو الطباعة بيروت لبنان ط2، 1998
- إبن حزم الأندلسي، الفصل في الملل و الأهواء و النحل ج2، مكتية السلام العالمية،
- عبد القادر البغدادي،مختصر الفرق بينالفرق،مطبعة الهلال،مصر،1924
- ابي الفرح الأصفهاني، كتاب الأغاني ج3، دار الكتب المصرية القاهرة ط1،
- أبي الفتح الشهرستاني:نهاية الأقدام في علم الكلام،مكتبة المتنبي،بغداد
- القرطبي:الجامع لأحكام القرآن،ج12،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط1 ، 2006
- أبي الحسن الأشعري،مقالات الإسلاميين و إختلاف المصلين، مطبعة الدولة،إسطنبول، ج2
- الحسن بن اسماعيل الاشعري،مقالات الاسلاميين و اختلاف المصليين ج1،المكتبة العصرية،بيروت،
- الشريف الجرجاني،المواقف للعضد الإيجي،ج2،دار الطباعة العامرة،
- عبد الجبار بن أحمد الأسد أبادي،الأصولالخمسة،لجنة التأليف و التعريب و النشر، الشويخ،ط1، 1998
- عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري،صحيح البخاري،المجلد1،دار البشرى،كراتشي،2016
- أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد،تخريج أحاديث علوم الدين،ج1،دار العاصمة للنشر،الرياض،ط1987،1،
- محمد بن أحمد القرطبي أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، ج5، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006،
- عبد الجبار بن أحمد،شرح الأصول الخمسة،مكتبة وهبة،القاهرة،ط1996،3،
- أحمد مختار العبادي،في التاريخ العباسي و الأندلسي،دار النهضة العر بية،بيروت،1971
- محمد بن أحمد القرطبي أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، ج20، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006،.

- الإمام مسلم،صحيحمسلم،دار الكتب العالمية،بيروت،ط1991،1
- إبن تيمية،درء تعارض العقل و النقل،ج1،دارنشر جامعة محمد بن سعود،ط2
- فخر الدين الرازي،خلق القرآن بين المعتزلة و أهل السنة،دار الجيل بيروت،ط1، 1992،
- هبة الله اللائكي،شرح أصول اعتقاد أهل السنة و الجماعة،دارالبصيرة،الاسكندرية
- أبي عثمان الصابوني،عقيدةالسلف و أصحاب الحديث،دار الكتب المصرية،
- عثمان بن سعيد الدارمي،الرد على الجهمية،الدار السلفية،الكويت،ط1985،1
- محمد عمارة،المعتزلة و مشكلة الحرية الإنسانية،دار الشروق،القاهرة،ط1988،2،
- ابي محمد الحسن بن موسى النوبختي، فرق الشيعة،مطبعة الدولة،اسطنبول،1931،
- أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد أو مدينة السلام،ج12،دار الكتب العالمية،بيروت
- ألبير نصري نادر،فلسفة المعتزلة،ج1،دار النشر الثقافة،الإسكندرية،1991
- محمود إسماعيل، الحركات السرية في الإسلام،مؤسسةالأنتشار العربي، بيروت،ط5
- القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، دار الفارابي، بيروت، ط1،2018
- محمد عمارة،المعتزلة و الثورة،دار الهلال
- أبو زهرة،تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسةو العقائد و تاريخ المذاهب الفقهية،دار الفكر العربي،القاهرة،ج1
- ابن النديم،الفهرست،دارالمعرفة،بيروت
- القاضي عبد الجبار،المنية و الأمل،دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية،1985
- أبي بكر البغدادي،تاريخ بغداد،ج4،دار الكتب العلمية،بيروت
- اليعقوبي،تاريخ اليعقوبي،ج2،شركة الأعلميللمطبوعات،بيروت، ،2010
- أبي الفرج عبد الرحمان الجوزي،مناقب الإمام بن حنبل،مكتبة الخانجي،ط1
- أحمد مختار العبادي،في التاريخ العباسي و الأندلسي،دار النهضة العر بية،بيروت،1971
- الحافظ ابن كثير،البداية و النهاية،ج10،مكتبة المعارف،بيروت،ط1990،8
- الإمام الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج10،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط1982،1
- ابن عماد الحنبلي،شذرات الذهب في أخبار من ذهب،ج3،دار ابن كثير،دمشق،ط1ن1988
- أبو العباس اليعقوبي،تاريخ اليعقوبي،ج3،المكتبة المرتضوية،النجف

- فاروق عمر فوزي،الخلافة العباسية عصر القوة و الازدهار،ج1،دار الشروق،عمان،ط2003،1
- أحمد شوقي إبراهيم العمرجي،المعتزلة في بغداد و أثرهم في الحياة الفكرية و السياسية،مكتبة مدبولي،القاهرة،ط2000،1،
- الإمام السيوطي،تاريخالخلفاء،دار ابن حزم،بيروت،ط2003،1
- أبي بكر البغدادي،تاريخ بغداد أو مدينة السلام،ج1،دار الكتب العلمية،بيروت
- كولن تيرنر،التشيع و التحول في العصر الصفوي،منشورات الجمل،بغداد،ط2008،1
- محمد عابد الجابري،تكوين العقل العربي،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،ط8، 2002
- محمد أركون،قضايا في نقد العقل الديني،دار الطليعة،بيروت، 2000
- محمد عابد الجابري،نحن و التراث، المركز الثقافي العربي،بيروت
- محمد أركون،الفكر العربي،منشورات عويدات،بيروت،ط3، 1985
- محمد أركون،الفكر الإسلامي قراءة علمية، المركز الثقافي العربي،ط2، 1996

الفهرس

مقدمة.....ج

- الفصل الأول: المعتزلة بين المبادئ والأصول.....9

المبحث الأول: نشأة المعتزلة وأصل التسمية.....9

تعريف المعتزلة.....9

نشأة المعتزلة.....11

أصل التسمية وعوامل الظهور.....14

المبحث الثاني: مبادئ المعتزلة.....20

التوحيد.....20

العدل.....21

الوعد و الوعيد.....22

المنزلة بين المنزلتين.....23

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....25

المبحث الثالث: مسألة خلق القرآن في فكر المعتزلة.....27

نشأة فكرة خلق القرآن.....27

نفي المعتزلة صفة الكلام عن الذات الإلاهية 29

مذهب المعتزلة في القرآن.....30

آراء الخصوم في خلق القرآن.....30

- الفصل الثاني: بوادر الفكر السياسي عند المعتزلة.....33

المبحث الأول: الفكر السياسي عند المعتزلة.....33

التنظيم السياسي لفرقة المعتزلة.....33

نفي المعتزلة صفة الكلام عن الذات الإلهية.....34

مذهب المعتزلة في القرآن.....36

آراء الخصوم في مسألة خلق القرآن.....40

المبحث الثاني: المعتزلة في عهد المأمون.....40
المعتزلة ما قبل المأمون.....42
المعتزلة في عهد الخليفة المأمون.....45
المعتزلة ما بعد المأمون.....51
المبحث الثالث: اضمحلال المعتزلة.....51
المعتزلة في عهد المتوكل.....52
القضاء على المعتزلة.....54
أخطاء المعتزلة التي أدت إلى سقوطهم.....55
المبحث الرابع: تأثيرات الفكر الإعتزالي 55
المعتزلة والشيعة 55
معتزلة العصر المعاصر 57
خاتمة.....61
مصادر و مراجع.....63
الفهرس.....67